الباب الثانى

اليقظة الاسلامية

مقـــــدمة :

الفصـــل الثـــالث : الحـــركات الاســـلامية .

الفصـــل الرابـــع : الحركات التحررية والوحدوية .

مقـــــدمة

يطلق تعبير « اليقظة الاسلامية » على الحركات الاسلامية التى ظهرت على مسرح الاقطار العربية والاسلامية في القرن الثامن عشر كنشـــوة دينية ضد ما ساد تلك الاقطار من تصرفات وسلوك يتنافي مع جوهر الدين الاسلامى الحنيف ، وان هذه الحركات الاسلامية انما قامت لكى تعيد للدين الاسلامى مكانته الاولى التى عاشها زمن رسول الاسلام الكريـم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخلفاء الراشدين .

وقد تمثلت تلك النشوة الدينية في الدعوة الوهابية التى انطلقت من نجد بشبه الجزيرة العربية ، والدعوة السنوسية التى اتخذت من برقـة بليبيا مقرا ومركزا تنتشر منه ، والثورة المهدية التى اتخذت من السودان مسرحا لنشاطها ، الى جانب فكرة الجامعة الاسلامية التى تزعم الدعـوة اليها المفكر الاسلامى جمال الدين الافغانى واتخذ من مصر مركزا لها وساعده في نشرها المصلح الاسلامى الشيخ محمد عبده ، بالاضافة الى الطـــرق الصوفية التى ظهرت في أقطار شمال افريقيا العربية الاسلامية كالطريقـة التيجانية والطريقة الشاذلية والطريقة القادرية التى انطلقت من العراق . وغيرهـا .

كما يطلق تعبير « اليقظة الاسلامية » ايضا على ظهور حركات تحررية ضـد الهجمات الاستعمارية التى احاطت بالعالم الاسلامى منذ الحروب الصليبية، تلك الحركات التى عاشتها اقطار اسلامية للتخلص من السـيطرة الاجنبية المعادية للاسلام ، كما يطلق التعبير كذلك على دعوات الوحدة بين العـالم العربى والاسلامى التى وجدت لها صـدى في قلب كل عربى وكل مسـلم فظهرت مشروعات وحدوية عربية كان ابزها ظهور جامعة الدل العربيـة ، كما ظهرت مؤسسات وحدوية اسلامية تمثلت في منظمة المؤتمر الاسلامىوما تفرع عنه من انشطة ثقافية واقتصادية واعلامية .

ويمكن القول ان هذهاليقظة الاسلامية بكل جوانبها انما حدثت كـرد فعل للشوائب التى شابت العقيدة الاسلامية نتيجة تطرف بعض المسلمين

وخروجهم عن جوهر العقيدة بل وارتداد بعضهم الى تقديس الاصنام ، ومن ثم كانت أول اسس هذه اليقظة الدعوة الى عودة المسلمين للتمسك بكتاب الله وسنة رسوله وترك البدع والتصرفات المنافية للعقيدة الاسلامية. كما ان هذه « اليقظة الاسلامية » حدثت ايضا للوقوف امام الهجمات الاستعمارية ضد الاسلام والمسلمين ، كما انها جاءت للرد على التفتت الموجود في القوى الاسلامية بالدعوة الى وحدة اسلامية تعيد للمسلمين صورتهم التى كانوا عليها عند ظهور الاسلام وفي عهد الدول الاسلامية الاموية والعباسية .

واذا اردنا ان نحدد تاريخا لبدء تلك « اليقظة الاسلامية » فيمكن اعتبار القرن الرابع عشر الميلادى هو البداية ، حيث ظهرت في أوائل هذا القرن أفكار العلامة والمتصوف العربى « أحمد بن تيمية » (الذى عاش في الفترة من ٦٦١ ــ ٧٢٨ هـ الموافق ١٢٦٣ الى ١٣٢٨ م) ، والذى عايش دمار التتار في الوطن العربى الاسلامى ، فاتخذ من القرآن الكريم مصدرا لاصلاح النفوس وبعث الهمم ، وتأكيد عقيدة التوحيد السامية ، وهاجم خصوم العقيدة الاسلامية وفقهاء العصر الجامدين ورجال الدين ورجال الحكم الذين استبدوا بالسلطان فأفسدوا السلطة .

الفصـــل الثـــالث

الحركات الإسلامية

- **الدعـوات السـلفية : ـ**

أولا : اصحاب الدعوات .

ثانيا : ظروف العالم الاسلامى .

ثالثا : الفكر الدينى المتكامل للدعوات السلفية .

رابعا : المضمون الاجتماعى عند الدعوات السلفية .

خامسا: الاتجاهات السياسية في الدعوات السلفية

سادسا: تقييم الدعوات السلفية .

- **الجامعة الاسلامية : ـ**

أولا : ظروف العـالم الاسـلامى .

ثانيا : الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الاسلامية .

ثالثا : فكرة الجامعة الاسلامية .

- **الطـرق الصـوفية : ـ**

الدعـــوات الســـلفية

اطلق تعبير «الدعوات السلفية» على كل من الدعوة الوهابية ، والدعوة السنوسية،والثورة المهدية،بسبب ما اتت بهمن مبادىءتدعوالىعودةالمسلمين الى ما كان عليه السلف الصالح منذ زمن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وهذه الدعوات وان اختلفت مناطق انبعاثها وتعددت اساليبها الا انها ذات مبادىء موحدة واهداف متشابهة وكلها استفادت من جهود العلامة « احمد بن تيمية » في مواجهة الخارجين على جوهر الدين الاسلامى « كالباطنية » التى اتخذت ما عرف بمبدأ الاشراق الالهى ومعناه ان المعرفة تشرق على ائمتهم فتسمو بهم الى مرتبة لا ينالها غيرهم ، اى ان الله يفيض عليهم نور المعرفة فتنكشف لهم الحقائق فيعرفون بواطن الامور وظواهرها،وكفرقة « النصيرية » التى اعانت التتار على محو الاسلام (١) . كما رأى ابن تيمية ان الجهلة من عامة الناس ينحتون في الصخور أقداما وأكفا يدعون انهـا للنبى محمد عليه الصلاة والسلام فيقدسونها ويتبركون بهـا أو يصنعون أصناما يسجدون لهـا .

ومن ثم وجه « ابن تيمية » دعوته بالرجوع الى القرآن والسـنة واتباع السلف الصالح في فهم الآيات القرآنيـــة والاحاديث النبوية وترك طريق الفلاسفة والمتكلمين لانها لا تتفق مع الروح السلفية القديمة ، ومحاربة البدع والمنكرات ولا سيما ما كان منها وسيلة للشرك بالله وترك الغلو في تقديس الرسول صلى الله عليه وسلم والاكتفاء بالاقتداء بهديه (٢) . وفتح بـاب الاجتهاد على مصراعيه ، ولعن من اتخذ من القبور مساجد ، فقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم « لعن الله زائرات القبور » ، وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها وفيهـا ونحو ذلك هو أصـل الشرك وعبادة الاوثان ، لهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم لا تجعل قبرى وثنـا بعـدى (٣) .

---

(١) د. محمد بديع وآخرون : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ص ٩ .

(٢) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٩٠ .

(٣) ابن تيمية : كتاب الزيارة من مجلد الجامع الفريد ص ٤٣٧ .

ويجب ان يكون واضحا اذن من البداية ان دعوة التوحيد التى نادى بها العلامة « احمد بن تيمية » كانت عاملا مشتركا لكل الحركات الدينية الاخرى ، كما كانت هناك عوامل اخرى اشتركت الدعوات السلفية في التأثر بها مما يجعلنا نعتقد بوحدة هذه الدعوات في الهدف وفي المصير (٤) ، خاصة ان هذه الدعوات جاءت في الوقت الذى كان الوطن العربى يخضع للسيادة العثمانية التى فرضت على العرب عزلة وجمودا فكريا جعلت الاسلام في الاقطار العربية وخاصة بين الاتراك مشرب بالمساوىء التى لا تمت الى الدين الصحيح بنسب (٥) .

ويمكن ان نحدد في البدء عوامل التشابه بين الدعوات السلفية الثلاث على النحو التالى :

اولا : اصحاب الدعوات :

تنتسب الدعوة الوهابية الى العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما تنتسب الدعوة السنوسية الى الشيخ محمد بن على السنوسي ، والدعوة المهدية الى الشيخ محمد احمد بن عبد الله الملقب بالمهدى المنتظر، فوجه الشبه الاول جاء في التسمية باسم «محمد» تيمنا باسم رسول الاسلام ، كما يتشابه أصحاب الدعوات السلفية الثلاث في المكونات الشخصية ، « فمحمد بن عبد الوهاب » ينحدر من أصول عربية تنتهى به الى « مضر » وهى بطن من بطون تميم اكبر القبائل العربية وأعزها (٦) .

كما ان محمد بن عبد الوهاب شب في بيت علم ودين فقد شغل والده منصب القضاء في « العيينة » وغيرها من مدن نجد وكان متفقها في مذهب الامام احمد بن حنبل ، الذى يقوم على تدريسه مع الحديث والتفسير لطلاب العلم الذين كانوا يمضون الوقت في جدل فقهى أو نقاش دينى ، وكان الطفل محمد بعد ان شب واصبح صبيا يحلو له ان يراقب مجلس ابيه عن كثب فينصت لاحاديث القوم ومجادلاتهم (٧) ، حتى اذا بلغ مبلغ الرجال

---

(٤) د. رافت الشيخ : في تاريخ العرب الحديث ص ١٨٧ .
(٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٥٤٩ .
(٦) عبد الكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص ٤٥ .
(٧) د. عبد الحميد البطريق : الوهابية دين ودولة ، مجلة كلية البنات ص ٤٢ .

زوجه ابوه وجعله يـــؤُم المصلين واخذ يسترشـــد بآرائـــه فيـما يعترضه من فتاوى ومسائل فقهية حتى كان والده يقول عنه لقد استفدت من ولدى محمد فوائد شتى في الاحكام (٨) .

كما اسهمت عدة امور في تحديد شخصية محمد بن عبـد الوهاب ، فالى جانب نشأته الدينية وذكائه العقلى كانت معيشته في بيئة بدائية وهى بيئة ليست معقدة ولكنها واضحة مكشوفة والناس فيها على الفطرة يسهل التأثير فيهم سلبا ام ايجابا (٩) ، ورحلاته داخل نجد وخارجها الى الحجاز والعراق حيث درس على ايدى علماء افذاذ وشاهد ما يرتكبه البعض من تصرفات ينكرها الاسلام سواء حول قبر الرسول عليه الصلاة والسلام او حول مزارات الشيعة في كربلاء والنجف الاشراف فدخل في مجادلات منها كما يـذكر « ان اناســا من مشركى البصرة يأتون الى بشـبهات يلقونهـا على فأقول وهم قعود لدى ، لا تصلح العبادة كلها الا لله فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه (١٠) .

وأما « محمد بن على السنوسي » الذى ينتهى نسبه الى ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السـبط بن على بن ابى طالب وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١١) ، والذى يختصر اسمه السنوسيون ليصبح : محمد بن على السنوسي الخطابى الحسنى الادريسى (١٢) ، عربى الاصل قرشي النسب ينتمى الى البيت النبـوى الشريف ولد ببلدة مستغانم بالجزائر في ١٢ ربيع الأول ١٢٠٢ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٧٨٧ م في بيت علم ودين فوالده وجده واعمامه وابناء اعمامه وكثير من نساء هذا البيت الكريم مثل جدة محمد بن على السنوسي لابيـه السيدة الزهراء وعمته السيدة فاطمة كانوا جميعا علماء (١٣) .. وهو في هذا يشبه محمد بن عبد الوهاب .

---

(٨) حسين بن غنام : تاريخ نجد ص ٤٥ .
(٩) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٠١ .
(١٠) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ٢٨ .
(١١) مصطفى بعيو : دراسات في التاريخ اللوبى ص ٢٠ .
(١٢) محمد بن على السنوسي : الدرر السنية في اخبار السـلالة الادريسية .
(١٣) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ١١ .

كما أن شخصية محمد بن على السنوسي تكونت في هذا البيت الدينى وتأثرت بما تعلمه في معاهد العلم بمسقط رأسه وفي جامع القرويين بمدينة « فاس » المغربية ، وفي جامع الزيتونة بتونس وفي الجامع الازهر بمصر وفي الحرمين الشريفين بمكة والمدينة المنورة ، وهذا يعنى ان رحلات محمد بن على السنوسي من الجزائر الى المغـــرب وتونس وطرابلس الغرب ومصر والحجاز قد اكسبته معرفة واسعة بأحوال المسلمين . فالى جانب دراسته للطرق الصوفية القادرية والشاذلية والناصرية والحبيبية (١٤) ، المنتشرة في شمال افريقيا اصطدم بالحكم التركى في مصر الذى كان على رأســـه محمد على وهاجم تركيا لانها تحتقر الجنس العربى وتولى على العـــرب حكاما من الاتراك . ونعى على علماء الازهر تأييدهم لولاية محمد على ، ولم يكن والى مصر ليرحب بمحمد بن على السنوسي.ولعل موقف علماء الازهـــر منه ــ حين طلبوا من طلاب العلم الابتعاد عن حلقاته التى عقدها بالجامـــع الازهر ــ موقف موعز به (١٥) . ولما انتقل الى الحجاز وجـــد عنتا من أشراف مكة ومن العثمانيين هناك ، وعندما عاد من الحجاز الى الجزائـــر ساءه وقوع بلاده الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠ م فتأثر كثيرا واختار برقة منطلقا لدعوته الشـــاملة . وهو في هذا يشـــبه محمد بن عبد الوهاب .

وينتسب « محمد أحمد بن عبد الله » الذى لقب نفسه بالمهـــدى المنتظر ، والذى ولد بجزيرة « لبب » جنوب مدينة دنقلة بشمال السودان في ١٢ أغسطس ١٨٤٤ م ، الى القبائل العربية الذين اختلطوا بالدمـــاء النوبية ، ويذهب البعض الى أن أصله مصرى وان موطن اسلافه في مديرية اســـوان (١٦) ، وعلى اية حال فان انتماءه الى قبائل الكنوز النوبيـــين وانحداره من الكنوز كان له أهمية خاصة في حياته . فالكنوز ينتمون الى آل البيت ، ومن هنا كان انتساب محمد أحمد الى البيت النبوى ، وكان لنسبه هذا اثر كبير في نجاح دعـــوته وتأليف القلوب من حوله (١٧) .. اذن فهو عربى قرشي مثل محمد بن على السنوسي .

---

(١٤) د . نقولا زيادة : ليبيا ... ص ٦٤ .

(١٥) مصطفى بعبو : المرجع السابق ص ٢٤ .

(١٦) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ص ١١٥ .

(١٧) د . حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية ص٤٠٣.

وقد تكونت شخصيته منذ الصغر حيث ولد في بيت يعمل راعيه ـ عبد الله والد محمد أحمد ـ بصناعة السفن النيلية الا أنه اتجه نحو العلم فدخل خلوة (١٨) القرية حيث تعلم وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ يتنقل في انحاء السودان لحضور حلقات العلم التى يقيمها علماء الدين في الخرطوم وبربر والجزيرة ، ويتتلمذ على أصحاب الطرق الصوفية المنتشرة في السودان ، فانضم الى السيد « محمد الشريف نور الدايم » شيخ الطريقة « السمانية » (١٩) الذى سمح له بتكوين مريدين له رغم صغر سنه ، وكان ذلك مما ساعده على التمرن في الوعظ والارشاد (٢٠). ومن ثم اتجه في النيل الابيض حتى جزيرة « آبا » (عام ١٨٧١ م) ذات الغابات المتشابكة وكان يسكنها عدد قليل من العرب الرحل وانفار قلائل من « الشلك » وهم سكانها الاصليون (٢١) ، وذلك من خلال رغبته في العزلة والبعد عن جو الخرطوم للاختلاء بعيدا للتأمل والتعبد .

وقد تعددت ارتباطات محمد أحمد برجال الدين السودانيين ، فالى جانب تعلمه على يد الشيخ « محمد الشريف نور الدايم » الذى أخذ محمد أحمد عنه مزيدا من الدروس في العلوم الشرعية والتصوف ، تعلم محمد أحمد على يد الشيخ « محمد الخير » ما استطاع أن ينهله من علوم النحو والتوحيد والفقه والصتوف ، كما تعلم على يد الشيخ « القرشي ود الزين » بأرض الجزيرة أصول أوراد واذكار الطريقة السمانية ، ولم تطل اقامه محمد أحمد كثيرا مع أستاذه الشيخ القرشي بسبب وفاة الاستاذ فعاد الى جزيرة آبا لكى يستكمل بناء أسس دعوته ، ولا شك أن هذا الترحال ودخوله في احدى الطرق الصوفية ثم خروجه منها كان أحسن وسيلة للدعاية له ولفكرته وللعمل على تكوين جماعة جديدة تأتمر بأمره وتنفذ ارشاداته (٢٢) .

---

(١٨) الخلوة تعنى المدرسة القرآنية أو الزاوية التى يحفظ بها طلاب العلم القرآن الكريم ويتعلمون بعض العلوم العربية .

(١٩) احدى الطرق الصوفية التى ظهرت في المدينة المنورة ونقلها الى السودان جد الشيخ محمد الشريف .

(٢٠) د . جلال يحيى : الثورة المهدية .. ص ٢١ .

(٢١) د . مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ٢٥٣ .

(٢٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٢ .

وقد ساعده ترحاله كذلك على معرفة احوال السودانيين وما يعيشون فيه من ضلال وبدع الى جانب تفشي الجهل والفقر بينهم ، والفساد الذى عم ادارة الحكم في السودان مما جعله يرفض تناول الطعام مع شيخه الذى يتناول مرتبا حكوميا من الذرة والمال . لانه يرى أن مثل هذا الطعام قد لا يخلو من الدخل الحرام ، ومن ثم عاش عيشة الزهد يذهب في بهيم الليل للصيد الحلال على شاطىء النهر لاصطياد السمك ، ويلقى في سبيل ذلك من النصب ما يلاقى قبل ان يقع السمك في سنارته (٢٣)، كما انه اشتغل بجمع الخشب وبيعه وذلك الى جانب دراسته الدينية (٢٤) . كل ذلك جعل من محمد احمد شخصية زاهدة ساعدته على التعمق في امور الدين والدينا ويفكر في الكيفية التى تصلح بها أحوال المسلمين في الاتجاهين الدينى والدنيوى (٢٥) . وهذا يتشابه مع اصحاب الدعوتين الوهابية والسنوسية .

ثانيا : ظروف العالم الاسلامى :

لا يقتصر تشابه الحركات السلفية على شخصيات اصحابها ؛ بل يمتد هذا التشابه الى نواحى اخرى منها ظروف العالم الاسلامى بصفة عامة ومواقع انبعاث تلك الدعوات بصفة خاصة ؛ تلك الظروف المتشابهة في البيئة الطبيعية وفى الامور الدينية والاحوال الاجتماعية والاوضاع السياسية ؛ التى عاشتها الاقطار العربية الاسلامية تحت الحكم العثمانى لمدة بلغت اربعة قرون .

(أ) الظروف الجغرافية :

فظروف البيئة الطبيعية متشابهة في كل من نجد مركز انبعاث الدعوة الوهابية وفي برقة مركز ظهور الدعوة السنوسية وفي السودان مقر انطلاق الدعوة المهدية ؛ وظروف البيئة الطبيعية تشمل السطح والموقع وغيرها من العوامل الجغرافية كما تشمل السكان في هذه البيئة .. وتتوسط نجد شبه الجزيرة العربية وهى هضبة يغلب عليها الطابع

---

(٢٣) د . مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٢٥١ .
(٢٤) د . ابراهيم العدوى : يقظة السودان ص ٤٩ .
(٢٥) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٠٦ .

الصحراوى الجاف وان ضمت كثيرا من الوديان والواحات أهمهـــا « وادى حنيفة » و « وادى الرمة » وهذه المناطق الخصبة تحيط بهـــا « الدهناء » شرقا وجنوبا ، « والنفود » والمنحدرات من الشـــمال ، ومنحدرات من الغرب (٢٦)) .

ومع اتساع هضبة نجد فان القسم المأهول منها لا يتعدى سلسلة ضيقة من الواحات ممتدة على شـــكل هلال تحف بها الرمال من كـــل جانب وتفصل ما بينها أحيانا ، فهى محدودة من الجنوب بصحراء « الربع الخالى » ومن الشرق « بالدهناء » ومن الشمال « بالنفود الكبير » ومـن الغرب بأنفاد « السر » و « البطرا » و « قنيفذة » (٢٧) . والمنطقة بصفة عامة صحراوية وحيث توجد الابار بقدر كاف من الماء ظهرت مدن وقرى تحاط بالبساتين ، وهذه على اية حال كثيرا ما تكون متباعدة بحيث تبدو مجرد نقط على خريطة بلاد العرب . ودون ان تربط بعضها ببعض منطقـة زراعية (٢٨) .

واذا كانت نجد تعيش طبيعيا بهذه الصورة الصحراوية بكل مـا تشتمل عليه من رمال وهضاب وصخور ووديان وواحات ، فالحرارة في نجد تشتد في النهار بينما تزداد البرودة ليلا ، والجو جاف ، والامطـــار قليلة بصفة عامة وأكثر مناطق نجد حظا من الامطار مناطق جبال «شمر» « والنفود الشمالى » ، بينما الصحراء الجنوبية تكاد لا تســـقط بهـــا الامطار (٢٩) . ومن الطبيعى أن تؤثر هذه الظروف على حياة السكان .

وكانت برقة مقر انبعاث الدعوة السنوسية صورة اخرى للصحراء بظروفها الطبيعية ، فبرقة أحد اقاليم ليبيا الثلاثة (برقة ، طرابلس ، فزان) بل انها اكبر هذه الاقاليـــم من حيث المساحة (٧٠٠ ألف كم ٢) وان لم تكن اكثرها سكانا ، ويمتد هذا الاقليم من « عقبة السلوم » شرقا الى حدود طرابلس غربا ، وكان يعرف عند الرومان باسم اقليم «سيرينة»

---

(٢٦) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٣ .
(٢٧) د . عزة النص : أحوال السكان في العالم العربى ص ٦٥ .
(٢٨) الليدى آن بلنت : رحلة الى بلاد نجد ص ٢٠٧ .
(٢٩) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٢ .

التى سماها العرب « قيرين » أو « قرناه » . ثم أصبح يعرف منذ الفتح العربى باسم اقليم برقة (٣٠) .

وسطح برقة متنوع حيث يوجد سهل ساحلى يضيق أحيانا ويتسع احيانا اخرى . والى جانب هذا السهل الساحلى يوجد الجبل الاخضر الذى يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالى الف متر وتكسوه الخضرة الدائمة . ويرتفع من الساحل ارتفاعا مباشرا ولكنه ينحدر تدريجيا نحو الصحراء في الجنوب ، وبه من الاراضي الصالحة للزراعة المساحات الكبيرة التى ترويها مياه الامطار الغزيرة خاصة في فصل الشتاء (٣١) .

والى الجنوب من الجبل الاخضر توجد الصحراء الواسعة التى تكون معظم مساحة الاقليم ، وهذه الصحراء مستوية وان وجد بها بعض الكثبان والهضاب فهى مستوية أيضا . وفي صحراء برقة توجد اودية عميقة بعضها يمتلىء بالماء فترة ما وبعضها يكون جافا طول السنة (٣٢) . كما توجد بعض الابار والينابيع المتناثرة وسط الصحراء تحيط بها واحات فقيرة مثل « الجغبوب » و « الكفرة » و « جالو » و « أوجلة » (٣٣) .

والمناخ في برقة يتنوع بتنوع السطح والموقع فالسهل الساحلى والجبل الاخضر كلاهما يتمتعان بمناخ معتدل لوقوع الاول على البحر المتوسط ولارتفاع الثانى عن سطح البحر ، كما تسقط الامطار بغزارة على السهل الساحلى والجبل الاخضر في معظم شهور السنة فيما عدا فصل الصيف. اما المناخ في الصحراء الواسعة الواقعة الى الجنوب من الجبل الاخضر فيتسم بأنه مناخ صحراوى اى شديد الحرارة نهارا شديد البرودة ليلا، ونادرا ما تسقط الامطار هناك . ولذلك يتبعثر السكان في الصحراء حيث توجد الواحات وعيون الماء بينما يتركزون في الجبل الاخضر والسهل الساحلى .

وبهذا الشكل يمكن ملاحظة التشابه بين ظروف نجد الطبيعية وظروف برقة الطبيعية وهو تشابه لا يصل الى حد التطابق ، وان وجد خلاف في

---

(٣٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٨٢ .
(٣١) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٥٤ .
(٣٢) د . فيليب رفلة : الجغرافيا السياسية لافريقيا ص ٣٣٨ .
(٣٣) د . عزة النص : المرجع السابق ص ٧٦ .

هذه الظروف فانما يرجع الى اختلاف موقع برقة وخاصة الجزء الشمالى منها المطل على البحر المتوسط ـ عن موقع نجد الجغرافى ، ومن ثم يختلف المناخ بين نجد وبين الجزء الشمالى من برقة ، ويتشابه في الصحراء البرقاوية مع الصحراء النجدية .

وأما السودان فان ظروفه الطبيعية لا تختلف كثيرا عن ظروف نجد الطبيعية ، فاذا كانت دنقلة التى ولد بها محمد أحمد وعاش فيها سنوات عمره الاولى تقع في اقليم صحراوى نادر المطر بشمال السودان وتسكنه الجماعات الحامية كالنوبيين الذين اختلطوا بالعرب وتأثروا بهم ، فانه الى الجنوب من دنقلة نجد السودان الاوسط حيث المناخ الصحراوى يسود أيضا مع سقوط أمطار في شهرى يوليو واغسطس ويسكنه العرب الذين يحتلون دارفور وكردفان والخرطوم والنيل الازرق والاجزاء الجنوبية من « كسلا » (٣٤) .

وقد اتخذ محمد أحمد من جزيرة « آبا » في النيل الابيض مقرا لدعوته وهى جزيرة ذات غابات كثيفة ، ثم انتقل منها الى جبل قدير بكردفان الجنوبية ثم الى كردفان الاوسط « فدارفور » وكلها تقع في غرب السودان ، وهى مناطق صحراوية ، حيث تمتد هضبة كردفان التى ترتفع بحوالى ٥٠٠ متر عن مستوى سطح البحر وتعلوها عدة جبال منفردة تتجمع في الجنوب باسم جبال النوبا ، وترتفع هضبة كردفان تدريجيا الى الغرب حتى تصل الى هضبة دارفور التى تسيطر عليها كتلة جبل « مرة » البركانية ، ودرجة الحرارة عالية طول السنة وبلا جدال فأن الصحراء أكثر الاجزاء حرارة ، وأمطار غرب السودان موسمية وتسقط كلها في فصل الصيف « ٣٥ » .

وهكذا تتشابه ظروف غرب السودان مع ظروف نجد وظروف صحراء برقة من حيث السطح وقلة الامطار وموارد المياه ، وبالتالى يتبعثر السكان في غرب السودان كما هو الحال في نجد وصحراء برقة .

(ب) الظروف الاجتماعيـــة :

تتشابه الاحوال الاجتماعية للعرب في كل مكان انطلاقا من امتداد الارض العربية الاسلامية امتدادا مستمرا ، وتشابه الارض التى يعيشون

---

(٣٤) د . فيليب رفلة : المرجع السابق ص ٢٩٢ .
(٣٥) د . محمد رياض : افريقيا .. ص ٣٩٦ ـ ٤٠٠ .

عليها ـ كما راينا ـ ومن هنا فاننا نلاحظ تشابها في حياة سكان نجد مع سكان السودان بصفة خاصة ، ومع سكان بقية العالم العربى الاسلامى بصفة عامة ، فاذا اضفنا الى ذلك وحدة الجنس الذى ينتمى اليه العرب والمسلمون ووحدة الثقافة القائمة على اللغة العربية والدين الاسلامى ادركنا هذا التشابه الذى اشرنا اليه في احوال العرب والمسلمين خاصة في مواطن انبعاث الدعوات السلفية .

كانت أحوال سكان نجد بل وشبه الجزيرة العربية عامة متأثرة بطبيعة الارض التى يعيشون عليها وهى أرض صحراوية تقوم في انحاء عدة منها مدن صغيرة حول آبار المياه وبالقرب من الواحات ، ومن ثم وجدنا السكان ينقسمون الى بدو وحضر ، فالبدو هم القبائل الرحل الذين يتنقلون من جهة الى اخرى في طلب المراعى والمياه لاغنامهم وابلهم ، وهم لا يميلون الى الاستقرار ، وكثيرا ما يلجأون الى التقاتل من اجل الحصول على اماكن غنية بالعشب لرعى ماشيتهم (٣٦) .

وكانت مسألة توفر المراعى والمياه للابل والاغنام لا تحدث الا بالرحلة والضرب في المناطق النائية . ولذلك صار كل تنظيم سياسي قائم على الاستقرار في السكن امرا متعذرا على البدوى . والصلة الدموية وحدها هى التى تعين الفلك الذى تضطرب فيه حياة البدو . فهى تربط الاسر بالعشائر والعشائر بالقبائل (٣٧) .

والقسم الثانى من سكان نجد هم الحضر سكان المدن والواحات والقرى وهم اكثر استقرارا من البدو ، وان كانوا في الاصل من البدو وتوطنوا في مساكنهم من قديم (٣٨) . ويشتغل الحضر في معظمهم بالتجارة ، الا ان التجارة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية وحركة محمد بن عبد الوهاب فقدت اهميتها كمورد للرزق لبعض سكان نجد نظرا لفقدان الامن وعدم استقرار النظام وانتشار الفوضي (٣٩) .

---

(٣٦) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٣٧) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ١٧ .
(٣٨) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٣٩) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الاولى ص ٩ .

وسكان نجد من البدو والحضر ينتظمون في قبائل تحكمها الاعراف والتقاليد المتوارثة ، فاذا كانت القبائل البدوية سمتها عدم الاستقرار والتقاتل والاغارة على من جاورهم أو الهجرة الى أرض جديدة فان الحضر انتظموا في مجموعة من الامارات أو المشيخات التى تتفق مع القبائل البدوية في الطباع الصحراوية حيث عاد السكان الى مفاهيم الحياة البدوية الجاهلية التى كانوا عليها قبل الاسلام وعادت العصبيات القبلية تمزق المجتمع وتفتته ، وعاد الغزو والسلب والنهب ليكون مصدر العيش في الصحراء (٤٠) .

والتنظيم القبلى ـ كما هو معلوم ـ يعطى لشيخ القبيلة السلطة الكاملة على كل أفراد قبيلته ، وهو في العادة أكثر أفراد قبيلته ثروة وأكبرهم مركزا وسنا في الغالب ، ولذلك يعد المسئول عن كل ما يلحق بقبيلته من اغارات القبائل الاخرى الى جانب مسئوليته عن تنظيم الامور المتعلقة بأفراد قبيلته مهما سكنوا في مناطق متفرقة أو في قرى وواحات متباعدة ، ومهما اختلفوا من حيث الثراء أو في درجة التحضر ، فالكل أمام أعراف وتقاليد القبيلة سواء (٤١) .

وقد تمسك أهل نجد بعادات العرب الاصيلة مثل المروءة والشجاعة، ومنح الحماية للمسافر طوعا وعن طيب نفس ، وقد يضم أحد أفراد القبيلة رجلا غريبا الى عشيرته ضما لا انفصام له (٤٢) هذا الى جانب علاج الخلافات اليومية عن طريق المجالس اليومية . والطاعة لشيخ القبيلة ، والاستماع الى من هم أكبر سنا واحترام مجلسهم ، والتضحية بالروح أثناء الحرب وبالاموال أثناء السلم ، وهم على العموم كما ذكر « أحمد بن سعيد البغدادى في كتابه « نديم الاديب » في حديثه عن أهل نجد في تلك الفترة بقوله : « ولئن كان بقايا من عوائد العرب القديمة وسننهم فهى عندهم » (٤٣) .

وأما قبائل وعشائر نجد فكانوا موزعين على النحو التالى : أهل «حايل» ينتمى أكثرهم الى «شمر» وأهل «القصيم» يرجعون في الغالب الى «بنى

---

(٤٠) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ص ١٢ .
(٤١) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٥ .
(٤٢) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ١٧ .
(٤٣) عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص ٤٢ .

خالد » و « بنى تميم » ، واهل الجنوب ينتمون في انسابهم الى « عنزة »، وأهل الوسط الى « الدواسر » و « بنى تميم » ، واهل الجنوب الغربى ينتمون الى « الدواسر » و « قحطان » (٤٤) . « وينتمى محمد بن عبد الوهاب » لقبيلة « بنى تميم » ، بينما ينتسب آل سعود الى قبيلة « عنزة » .

واما قبائل برقة فقد عاشت نفس التنظيم القبلى العربى من حيث انقسامها الى عشائر وبطون وافخاذ ، وللقبيلة ارض تملكها وتنتقل في ارجائها ، وافراد كل قبيلة متضامنون في اداء ما عليهم من واجبات وفي الحصول على ما لهم من حقوق ، ولكل قبيلة رئيس او شيخ له الرياسة العامة على افرادها . ومنذ ايام الفتح العربى الاسلامى حتى العصر الحديث كان الحكم في برقة يأخذ القبيلة بعين الاعتبار في تقسيم البلاد الى وحدات ادارية . بحيث تكون القبيلة أساسا لتطبيق النظام ومساعدة الحكام (٤٥) .

ولسنا بحاجة الى الحديث بتفصيل عن معيشة القبائل العربية في برقة ، حيث ان القبائل البدوية في الصحراء العربية سواء في المشرق ـ كما راينا في نجد ـ او في المغرب العربى ، يعيشون حياة غير مستقرة فيما عدا سكان الواحات والمدن الذين يتمتعون بالاستقرار . وقد اتضحت صورة التنظيم القبلى في برقة منذ الفتح العربى الاسلامى ، ثم عندما زحفت قبائل بنى هلال وبنى سليم من مصر الى المغرب منذ القرن الخامس الهجرى ـ الحادى عشر الميلادى ـ فوجدنا هذه القبائل تنقسم الى قسمين رئيسيين : القبائل « السعدية » ، وقبائل « المرابطين » . ويذكر البعض أن السعديين هم قبائل بنى سليم ، وان المرابطين هم بقية القبائل العربية اليمنية التى جاءت مع الفتح الاسلامى والتى اختلطت بالبربر وعربتهم ، وان ثمة قبائل من المرابطين لها شرف في النسب الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم (٤٦) .

---

(٤٤) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٤٧ .
(٤٥) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٣٣ .
(٤٦) د . نقولا زيادة : المرجع السابق ص ١٢ .

ورغم أن اقليم برقة تميز بانقسام سكانه الى قبائل متنافرة تأثر افرادها بالبيئة الصحراوية فقد اتصفوا بالقوة والخشونة والمحافظة على العادات والتقاليد العربية ، هذا الى جانب أن الاقليم كان عدد سكانه قليلا بالنسبة لمساحته الشاسعة ، كما كان هذا المجتمع البرقاوى أكثر تجانسا في تكوينه الجنسي وخلوا من الاقليات التى تفت دائما في عضد الحركات الاصلاحية (٤٧) .

واما احوال السودانيين الاجتماعية فانها لا تختلف كثيرا عن احوال النجديين والبرقاويين ، اذ تسكن السودان الشمالى والاوسط قبائل عربية بصفاتها الاجتماعية المعروفة ، حيث أن القبائل السودانية وفدت الى السودان من طريقين ، الطريق الأول هو الباب الشمالى الذى يفضي الى مجرى النيل (٤٨) ، والطريق الثانى هو الباب الشرقى المنحدر من ساحل البحر الاحمر ، عبرته الهجرات من شبه جزيرة العرب في طريقها صوب الغرب الى السودان الاوسط (٤٩) .

وقد انقسمت هذه القبائل العربية الوافدة الى ثلاث مجموعات : المجموعة الاولى هى مجموعة « الجعليين » وهى أكثر المجموعات العربية نفوذا وعددا في السودان وقد انتشرت في المنطقة الممتدة من وادى حلفا حتى جنوب أم درمان ، والمجموعة الثانية هى مجموعة « جهينة » ، وهم عرب وفدوا الى مصر أولا حتى اذا كان القرن الرابع عشر الميلادى اتجهوا جنوبا نحو السودان حيث استقروا في شرقه وعلى حدود الحبشة وفي الجهات الشرقية والوسطى من كردفان ، والمجموعة الثالثة تعرف باسم « الكواهلة » ومنازلهم في العطبرة والنيل الازرق وحول النيل الابيض وكردفان في الغرب (٥٠) .

---

(٤٧) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٢٦ .
(٤٨) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٠٤ .
(٤٩) د . محمد عوض : السودان الشمالى ص ١٥٩ .
(٥٠) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٠٠ .

ورغم انقسام أهل السودان الى قبائل وعشائر الا أن نهر النيل قد ساعد على استقرار كثير من هذه القبائل وحول حياتها من الرعى والتنقل الى الزراعة والاستقرار ، ومع ذلك فقد بقيت خارج المدن والقرى التى سكنها المستقرون حياة لغير المستقرين الذين اتخذوا من شرق السودان وغربه مقرا لهم يمارسون فيه حياتهم القبلية البدوية بكل ابعادها من رعى وتقاتل وخضوع لزعامة القبيلة .

(ج) الامور الدينية :

كانت احوال المسلمين الدينية متشابهة في تلك الازمان التى سبقت ظهور الدعوات السلفية . حيث غلب عليها اتباع البدع والخرافات بل والاستغاثة بغير الله . مما استدعى وجود مصلحين . فقد سيطر على أهل نجد سحبا من الخرافات وكثر عدد الادعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، فلو عاد صاحب الرسالة ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ الى الارض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الاسلام لغضب واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الاوثان (٥١) .

وعلى هذا كان التدهور في المجتمع الاسلامى يسير بسرعة حتى اصبحت القيم التى اكسبها الاسلام لمجتمع شبه الجزيرة العربية قد اضمحلت واندثرت أو كادت ، واحتلت الضلالات والبدع والخرافات والاساطير في نفوس العامة وغير العامة محل القيم الصحيحة للاسلام ومبادئه حتى أصبحت بعض الاشجار والكهوف والمغاور والقباب والقبور والاضرحة موضع قداسة وشفاعة اقرب الى العبادة ، وحتى اضحت تعاليم الاسلام التى تضبط المجتمع وتحكم روابطه نسيا منسيا ، وكأن الاسلام لم يظهر في شبه الجزيرة العربية ولم يترك أثرا حضاريا لا على رمالها ولا في عقول ابنائها ونفوسهم (٥٢) .

ولم تكن نجد تنفرد بمثل هذه الخرافات والبدع ، فقد شاركتها فيها بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية وغيرها من الاقطار الاسلامية التى تعرضت لمثل ظروف شبه الجزيرة العربية وأعنى الظلم والفقر والجهل ،

---

(٥١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى جـ١ ص ٢٥٩ .
(٥٢) أحمد عسه : المرجع ص ١٢ .

وهى ظروف ساعدت على كثرة الدجالين وأصحاب البدع ممن يجدون لبضاعتهم سوقا رائجة في دنيا العوام واشباه العوام (٥٣) .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن أحوال اهل برقة الدينية ، ذلك انه بحكم مرور السنين واهمال المصلحين الدينيين لوظيفتهم قد جعل البرقاويين يحيدون عن أصول الاسلام الصحيح ، وغير متفهمين للعقيدة وانما مقلدين ، ومن ثم أصبحوا سادرين في غيابات الضلال معرضين لخطر أصحاب النفوذ من شيوخ البدو في الجبل الاخضر شبيها بالكعبة قصدوا به تقليد البيت الحرام ، وقد أراد مؤسسو هذه الكعبة الزائفة أن يدخلوا في أذهان البدو أن زيارتهم لها تقوم مقام حج بيت الله الحرام (٥٤) . الى غير ذلك من أعمال تنافى الدين كواد البنات وعدم صوم رمضان بابتداع بدعة تقوم على الذهاب قبل حلول شهر رمضان بأيام الى وادى « زازا » المعروف بقوة رجع الصدى وسؤاله ايصومون رمضان أم لا ؟ فيجيب الصدى بالكلمة الاخيرة « لا » فيصبحون في حل من الصوم ويفطرون (٥٥).

واما امور السودانيين الدينية فلم تختلف عن أمور النجديين والبرقاويين ، ذلك أن الاسلام عندما دخل الى السودان على أيدى القبائل العربية لم ينتشر بين أهل البلاد بالتبشير أو الدعوة الى الدين ، وانما انتشر بالوسيلة الاجتماعية والتسرب السلمى ، بالاصهار الى الشعوب المحلية ، ثم امتصاص هذه الشعوب في الدماء العربية الوافدة ، ثم اندماج هذه القبائل في الحياة القبلية الجديدة (٥٦) . وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاندماج الاجتماعى اعتناق جيل المولدين دين الامهات ودين القبيلة صاحبة النفوذ ، ثم ازدياد التيار الاسلامى عمقا بمضي الزمن (٥٧).

وقد ساعد على ذلك أن العرب في كل بلد نزلوا فيها بعد الفتح الاسلامى لم يكونوا طبقة حاكمة متعالية ومنعزلة عن السكان الاصليين ،

---

(٥٢) عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ص ٣١ ـ ٣٢ .
(٥٤) أحمد حسنين : في صحراء ليبيا ص ٤٨ .
(٥٥) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٥٦ـ٢٥٧ .
(٥٦) عبد العزيز عبد المجيد : التربية في السودان ج١ ص ٢٥ .
(٥٧) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٣٣٩ .

ولم يطالبوا بحكم ذاتى او مملكة خاصة ولكن كانت لهم احياؤهم الخاصة في المدن الكبيرة ولهم قراهم الخاصة ، والدلائل واضحة على انهم في بعض المناطق خضعوا لحكام البلاد (٥٨) .

ونتيجة للانقسامات بين القبائل السودانية من ناحية وشيوع مظاهر الفقر والجهل ظهرت زعامات دينية صوفية متنافسة لا تهتم بأصول الاسلام وقواعده الاساسية . مما ساعد على سواد العاطفة والخرافات بين السودانيين . وجعل السودانيين ينسبون الى رجال الدين المعجزات بل وقدسوهم أكثر من تقديس الانبياء في الوقت الذى ضعف فيه مستواهم العلمى فلم يكن باستطاعتهم التمييز بين الخرافات والعقيدة الصحيحة (٥٩) .

(د) الاوضاع السياسية :

عاش العالم العربى منذ أوائل القرن السادس عشر الميلادى وعلى مدى اربعة قرون تحت الحكم العثمانى المباشر وغير المباشر . ومن هنا تاثرت الاقطار العربية بسلبيات هذا الحكم التى كان من اهمها فرض العزلة وحياة الجمود على المسلمين الذين قتلت فيهم روح الابتكار والتفكير، ومن هنا تشابهت الاوضاع السياسية وان لم تتطابق في مواطن انطلاق الدعوات السلفية الاصلاحية .

وتمثلت الاوضاع السياسية في نجد قبيل ظهور الدعوة الوهابية في وجود عدة امارات صغيرة تتخذ كل امارة منها مقرا لها في بلدة من بلاد نجد . ولها اميرها الذى هو في نفس الوقت زعيما لعشيرة او رئيسا لقبيلة او راعيا لاسرة له الكلمة المسموعة على اهل امارته (٦٠) .

ومن الثابت أن اقليم نجد لم يخضع للحكم العثمانى كما خضعت اطرافه في الحجاز والاحساء ، ومن ثم لم يشهد الاقليم ولاة عثمانيين

---

(٥٨) د . مكى شبيكة : مملكة الفونج ص ١٩ .

(٥٩) Hilleson : Anglo-Egyptian Sudan, P. 101.

(٦٠) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٩٦ .

يأتون اليه ولا حامية تركية تجوب خلال دياره (٦١) ، ولقد تركت الدولة العثمانية هذا الاقليم لاهله يحكمونه بالطريقة القبيلة المألوفة طالما لا يعلن أهله العداء للدولة ، كما أن الاقليم كان فقيرا فلم يكن مغريا للعثمانيين .

وأما الامارات القائمة في اقليم نجد فقد سادتها علاقات الجفاء ، وكثيرا ما كانت الحروب تنشب بينها ، وتكاد كل امارة منها أن تكون منعزلة عن غيرها لا تربطها بها روابط سياسية معينة بحكم تجاورها ، ولم تكن الروابط التى تجمعها سوى العلاقات التجارية والجوار ووحدة الاصل ، وأشهر الاسر النجدية الحاكمة في ذلك الوقت هى : « آل معمر » في « العينية » و « دهام بن دواس » في الرياض ، و « آل زامل » في « الخرج » ، و « آل سعود » في « الدرعية » (٦٢) .

اما أحوال اقليم برقة السياسية ، فقد خضع مع بقية اقاليم ليبيا منذ عام ١٥٥١ م للحكم العثمانى الذى سيطر على السواحل دون الداخل ، وعلى هذا أهمل اقليم برقة فلم يلق من عناية الدولة العثمانية أو اشرافها المباشر ما يستحق من اهتمام ، حتى اذا حكمت الولاية الاسرة القرمانلية حاول أمراؤها السيطرة على كل الولاية بما فيها برقة ، ثم عاد الحكم العثمانى المباشر ليجعل من برقة ولاية قائمة بذاتها عام ١٨٣٨ م (٦٣) .

ولقد حاول الحكام العثمانيون جمع السلطة في أيديهم ولكن أهل برقة لم يخضعوا للحكم الجديد ومن ثم حدثت ثورات فصدامات بين أهل البلاد والاتراك ، حتى بات الاتراك يتوقون الى ازالة هذا الشر المستطير ووضع حد للصدام وذلك باستمالة زعماء العرب وأصحاب النفوذ في البلاد ، فكانت هذه الرغبة من جانبهم السبب الاكبر والمباشر الذى دعا العثمانيين الى الاعتراف بالسنوسية ليس فقط كدعوة وطريقة بل كأمارة وسياسة (٦٤) .

---

(٦١) ساطع الحصرى : الدولة العثمانية والبلاد العربية ص ٢٣٩ .
(٦٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن : المرجع السابق ص ١٣ .
(٦٣) د . رأفت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٥٦ .
(٦٤) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٢٦ .

وأما في السودان فقد تكونت بعض الامارات العربية الخاضعة لنفوذ غيرها اكثر قوة او المستقلة بأمرها . وكان اشهر هذه الامارات والسلطنات الاسلامية العربية سلطنتان احداهما على النيل الازرق اسسها « الفونج » في « سنار » ومؤسس هذه السلطنة وعاصمتها زعيم الفونج « عمارة دونقس » أول القرن العاشر الهجرى (٩١٠ هـ الموافق ١٥٠٥ م) (٦٥) ، والسلطنة الاخرى عرفت بسلطنة دارفور في السودان الغربى ، وقد ظل الفونج يعتمدون على مصر في غذائهم الروحى . فدرس نخبة من ابناء هذه الدولة في الجامع الازهر ، وعادوا الى بلادهم ينشرون بها ما تلقوه من علوم ومعارف دينية اسلامية (٦٦) .

ظل السودان مجزءا حتى تمت وحدة وادى النيل على يد محمد على اول العشرينات من القرن التاسع عشر ، وقد تم فتح اهم اجزاء السودان عام ١٨٢٥ م ، ثم استكمل الخديوى اسماعيل فتح بقية السودان ، وفي ظل الحكم المصرى انشئت عاصمة للسودان هى مدينة الخرطوم عام ١٨٣٠ م ، وغيرها من المدن ، كما استقر الامن في ربوع السودان ، مما جعل الناس ينصرفون الى اعمالهم في الزراعة والتجارة والرعى ، كما ان الحكم المصرى شجع العلماء والمستكشفين للقيام بالرحلات العلمية لكشف منابع النيل (٦٧) ، ولكن استعانة الحكم المصرى وخاصة في عهد الخديوى اسماعيل بالاجانب في عمليات الكشف وفي حكم اقاليم السودان كان له تأثير سيء على السودانيين وعلى الحكم المصرى وبما ادى في النهاية الى تهيئة الجو الذى اتاح للفقيه محمد احمد أن يعلن دعوته بالثورة ضد السلطة الشرعية ..

ثالثا : الفكر الدينى المتكامل للدعوات السلفية :

انطلقت الدعوات السلفية الثلاث من منطلق دينى استنادا على التكوين الدينى لشخصيات أصحابها وحيث كانت الظروف الدينية للمسلمين تستدعى مخاطبتهم من الناحية الروحية أولا لتطبيق البرنامج

---

(٦٥) د . مكى شبيكة : المرجع السابق ص ٢٢ .
(٦٦) د . السيد رجب حراز : المدخل الى تاريخ مصر الحديث ص٢٤٨
(٦٧) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٠٢ .

الشامل لكل دعوة . وهذا يعنى أنه كان لكل صاحب دعوة برنامجا شاملا في النواحى الدينية والاجتماعية والسياسية . واختيار أصحاب الدعوات للجانب الدينى في البرنامج لتنفيذه يدل على اعتبار أن اصلاح هذا الجانب في نفوس المسلمين أساس لكل اصلاح ولكل ناحية .

والفكر الدينى عند أصحاب الدعوات السلفية (الوهابية ، السنوسية ، المهدية) متكامل ومتشابه ، وان بدا بعض الخلاف في ناحية أو أكثر من نواحى هذا الفكر فأنما يرجع الى اختلاف في الظروف المحيطة بصاحب كل دعوة أو بمدى طموحه في تنفيذ برنامجه . والشيء الواضح في فكر أصحاب الدعوات الثلاث هو الدعوة الى رجوع المسلمين الى ما كان عليه السلف الصالح من سلوك دينى منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ما يطلق عليه المنهج المدرسي أو المنهج الملتزم .

كانت الدعوة الى التوحيد أو بمعنى أصح التمسك بوحدانية الله هى المبدأ الاساسي الذى دعت اليه كل حركة سلفية ، فيفسر محمد بن عبد الوهاب هذا المبدأ بقوله : انى أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصي بها أول أمته وآخرهم (٦٨) .

وشرح محمد بن عبد الوهاب مبدأ التوحيد مستندا الى ما جاء في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، فقال : ان الله ذكر في القرآن الكريم كثيرا من الايات الكريمة التى تنطق بوحدانيته كقوله : وأعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وقوله : قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد . والرسول الكريم يقول : من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل . وفي حديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال لى : يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله اعلم ، قال فأن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . قلت يا رسول أفلا أبشر الناس قال « لا تبشرهم فيتكلوا » (٦٩) .

---

(٦٨) حسين بن غنام : المرجع ص ٢١٥ .
(٦٩) محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد ... ص ٣٠٢ .

وقال أيضا عن التوحيد : ان التوحيد الذى دعت اليه الرسل من أولهم الى اخرهم هو أفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهم ، فمن ذلك لا يدعى الا اياه كما قال تعالى : وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا . فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبيا او وليا عند قبره فقد اتخذ الهين اثنين . ولم يشهد أن لا اله الا الله هو المدعو (٧٠) .

ويفسر عبارة « لا اله الا الله » بأن معناها ترك كل معبود غير الله والتوجه الى الله وحده . وأن العبادة اذا جعلت لغير الله صار ذلك الغير الها مع الله وان لم يعتقد الفاعل ذلك (٧١) .

اى أن معنى « لا اله الا الله » ـ عند محمد بن عبد الوهاب ـ نفى صفة الالوهية عن كل المخلوقات واثباتها لله وحده واعتمد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في رايه هذا على ما جاء بالكتاب والسنة ، فأضاف أيضا أن عبارة « لا اله الا الله » هى الفارقة بين الكفر والاسلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى . وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون . وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة اهلها وبغض من خالفها ومعاداته (٧٢) .

ويرتبط بمبدأ التوحيد عند الوهابية محاربة الشفاعة المبتدعة اى الاستشفاع والاستغاثة بغير الله ، فيقول محمد بن عبد الوهاب : ليس ثمة فرق بين من يرجو البركة عند قبر ولى وبين من يعبد وثنا ، كلاهما قد جعل بينه وبين الله شفيعا يرجى ، وما كان كفار قريش الذين حاربوا دعوة التوحيد الا على هذه الصورة ، كانوا يعتقدون ان الله هو الخالق العظيم ، ولكن هناك آلهة دون الله يتصرفون وينفعون ويضرون ، ان هؤلاء الآلهة هى الطريق الى الله ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى (٧٣) .

ولا ينكر محمد بن عبد الوهاب شفاعة النبى عليه الصلاة والسلام

---

(٧٠) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ٣٢٣ .
(٧١) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٣٩٧ .
(٧٢) محمد بن عبد الوهاب : ثلاثة عشر رسالة ص ٢٦٠ .
(٧٣) محمد بن عبد الوهاب : كتاب كشف الشبهات .. ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ .

يوم القيامة ، بل انه يعترف ايضا بشفاعة سائر الانبياء والملائكة والاولياء ايضا ، ولكن محبة الانبياء والاولياء الصالحين ليست بالتوسل بهم ولكن في متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين (٧٤) . وان تسأل الشفاعة من المالك لها وهو الله واذنه فيها لمن شاء من الموحدين فيقال : اللهم شفع فينا نبينا محمدا يوم القيامة ، اللهم شفع عبادك الصالحين او نحو ذلك ، واما ما يجرى على السنة الناس من قولهم يا رسول الله او يا ولى الله اسألك الشفاعة او غيرها كأدركنى او اغثنى او نحو ذلك فانه من الشرك ، اذ لم يرد بذلك نص من كتاب او سنة ولا اثر من السلف الصالح (٧٥) .

واكد محمد بن عبد الوهاب ان الشفاعة كلها لله تعالى كما جاء في القرآن الكريم : « قل لله الشفاعة جميعا » . وانها لا تكون الا من بعد اذن الله ، كما قال تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه » . ولا يشفع في احد الا بعد ان يأذن الله فيه كما قال سبحانه وتعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضي » (٧٦) . ومع ذلك فان محمد بن عبد الوهاب لا ينكر زيارة قبور الانبياء والاولياء والموتى عامة ولكن بشرط أن تكون هذه الزيارة للدعاء للميت واتعاظ الزائر ، على أن تراعى فيها الطريقة التى سنها النبى صلى الله عليه وسلم للزيارة (٧٧) ، والا تبنى عليها قباب وأضرحة ومساجد ، وعدم خروج النساء خلف الجنائز الى القبور وعمل احتفالات سنوية عندها خاصة قبور الانبياء والاولياء وما يحدث فيها من رقص وتمايل وشطحات وغير ذلك من الاعمال المحرمة أصلا ونهى محمد بن عبد الوهاب عن استحداث بدع في الشرع الاسلامى عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم « من استحدث بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة » .

واكمل محمد بن عبد الوهاب برنامجه الدينى بالدعوة لفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لكل مقتدر عليه مستوف لشروطه من علماء المسلمين لتحقيق الابداع في التشريع لمواجهة متطلبات العصر والمشكلات التى تواجه المسلمين وليس لها من نص صريح في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح يعالجها ، وجاءت دعوة محمد بن عبد الوهاب هذه استنادا الى أن الله

---

(٧٤) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٧٥) حافظ وهبة : المرجع السابق ص ٢٩٧ .
(٧٦) محمد بن عبد الوهاب : كشف الشبهات ... ص ٢٣١ .
(٧٧) حافظ وهبه : المرجع السابق ص ٢٩٧ .

وحده هو الذى يحلل ويحرم ، وأن كلام المتكلمين في العقائد وكلام الفقهاء في التحليل والتحريم ليس حجة علينا ، والحجة الوحيدة هى في القرآن والسنة منهما تستنبط الاحكام وفيها فطنة العقائد (٧٨) . ورغم أن الامام أحمد بن حنبل كان مذهبه نبراس محمد بن عبد الوهاب في استنباط الاحكام الا انه اعتبر الائمة الاربعة دون المعتزلة والشيعة والمتصوفين هم من تؤخذ احكامهم .

وكان الفكر الدينى عند السنوسية لا يختلف في جوهره عن فكر الوهابية الدينى حيث تمثل في الدعوة الى الرجوع بالمسلمين والدين الاسلامى الى ما كان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده ، ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الاصلين اللذين يصح الاعتماد عليهما في فهم الاسلام دون الاجماع والقياس المتأخرين (٧٩) . ولم تكن هذه الدعوة الاصلاحية تدعو الى الرجوع بالاسلام الى ما كان عليه في أيامه الاولى فقط ، بل قرن صاحب الدعوة بضرورة العمل بالقرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة قرن ذلك بعدم الاكتفاء بالاذكار والاوراد ـ كما تسير الطرق الصوفية ـ او الاعتماد على مجرد التلاوة والذكر دون العمل الجدى ومراعاة احكام الشريعة الاسلامية في الاعمال الخاصة والعامة كما كان العهد في أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده (٨٠) .

وكان معنى هذا ان السنوسية تدعو الى تطهير الاسلام من البدع والخرافات التى علقت به ، وذلك يتم بالعودة الى أصول الاسلام الاولى ، والبعد عن الحركات المسموح بها في الطرق الصوفية كالغناء والرقص واظهار الكرامات والمعجزات أو الشطح والتمايل ، وايضا الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كأصلين للدين الاسلامى ، الى جانب عدم الشرك بالله لانه جلت قدرته الواحد الاحد ، ويتم ذلك بعدم التضرع الى الاولياء أو الشخوص الحجرية التى لا تنفع ولا تضر ولان ذلك ينهى الله عنه (٨١) .

---

(٧٨) د. محمد بديع شريف : المرجع السابق ص ٢٩٩ .
(٧٩) د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص ٧٠ .
(٨٠) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٣٦ .
(٨١) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٦٣ .

وتضمن الفكر الديني للسنوسية ـ كما هو الحال عند الوهابية ـ كذلك اعتبار باب الاجتهاد مازال مفتوحا ، ومن ثم يجوز الاجتهاد في مسائل الدين الاسلامي التي تواجه المسلمين بشرط ان يراعى المجتهد أصلى الدين الاسلامي الوحيدين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والاحكام التي نصا عليها . والدعوة الى فتح باب الاجتهاد التي سبقه اليها كل من « أحمد بن تيمية » « ومحمد بن عبد الوهاب » لها ما يبررها خاصة وقد تحجرت الافكارعند علماء المسلمين بسبب اتجاههم نحو التقليد دون التجديد .

ورغم أن محمد بن على السنوسي قد درس الطرق الصوفية المنتشرة على مسرح الحياة الدينية الاسلامية في العالم العربي ، فانه خالف المتصوفين الذين يبالغون في أشكال الحماسة الخاصة بالذكر ، وقصر الذكر في دعوته على اسم الجلالة وجعل لها ما يعرف باسم « الورد » ، ومنع الاستعانة بالدفوف والمواكب والحركات العنيفة التي ترمى الى ازدياد حماسة الاشخاص في الذكر بهز الاجسام بشكل خاص (٨٢) . وبهذا وضع اساسا صحيحا للتصوف يبعده عن الابتذال ويقربه من العبادة .

وفي نفس الوقت دافع محمد بن على السنوسي عن المتصوفين الخالصين ومذهب التصوف الحق فقال : قد يسرى في وهم من ليس له رسوخ قدم في علم القوم أن احوال الصوفية بعضها مباين لما عليه علماء الشريعة كما فاه فيه بعض الجهلة تغالبا أو تنقيصا ، فاعلم أن سبيل القوم رضي الله عنهم اتباع النبى صلى الله عليه وسلم في الجليل والحقير ، وكلما ازداد أحدهم اتباعا كلما ازداد كمالا ، لكون الكمال الكلى عندهم في كمال الاتباع ، والا فليس منهم او ناقص عندهم فان أعمالهم موزونة بميزان الشريعة ، فمارجح فيه قبلوه وما لا يرجح نبذوه (٨٣) . وأكد أن من يتصف بهذا الكمال في الاتباع بالتوجه الدائم الى المولى عز وجل في طلب العون والمؤازرة وخشيته دائما وعمل ما يأمر به والابتعاد عما نهى عنه فان رحمة الله واسعة وعنده نعيم مقيم لا أول له ولا آخر (٨٤) .

---

(٨٢) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٤١ .
(٨٣) د. أحمد الدجانى : أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين ١٨ ، ١٩ ص ٧٨ ـ ٧٩ .
(٨٤) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٦ .

وسار الفكر الدينى للمهدية على نفس النسق الذى سار عليه الفكر الدينى عند الوهابية والسنوسية ، اذ دعا محمد أحمد المسلمين الى التمسك بوحدانية الله . وجعل التعبد لله وحده . وتحريم التطلع للاولياء وزيارة قبورهم . والامتناع عن شرب الدخان . وعدم استخدام فاحش القول وشرب الخمر . وعدم الاستماع الى الموسيقى او الاشتراك في الرقص ، وضرورة تبسيط حفلات الزواج (٨٥) . وتوجيه الناس الى الكتاب والسنة ومحاربة البدع وغير ذلك من أمور الشريعة كفرض وجباية الزكاة من المسلمين وتوزيع الغنيمة توزيعا شرعيا وهذه أمور كلها تتطلب الاستعانة بالعلم الاصيل والدراسة الفقهية العميقة ، والتعمق في فهم النصوص التى وردت في القرآن والسنة . ومحاولة الاستنباط استنباطا يفوق جمهرة التابعين(٨٦).

ودعا محمد احمد ايضا الى العودة بالتشريع الى عهوده الزاهرة ، الى عصر الاجتهاد الاول قبل افتراق الكلمة وظهور المذاهب الاربعة . وقال في ذلك ان الاجتهاد هو الوسيلة الوحيدة لتقويم السنة ، والهجرة بالدين مما عليه من الانطباعات الزمنية (٨٧) . اى انه هاجم توزع المسلمين بين أربعة مذاهب شافعية ومالكية وحنفية وحنابلة . ثم تفرقهم بعد ذلك بين طرق صوفية مختلفة لم يؤد الا الى اضعاف الاسلام ، ووجد ان الطريق الى الله واضح جلى في كل من القرآن والسنة وان معرفتهما كافية للمؤمن الحق (٨٨) . ومن ثم دعا الى الاجتهاد في الاسلام قائلا : وم **العبد الا الاعمال** الموافقة للسنة والكتاب . من لم يجتهد على ذلك بشق الانفس خسر الدارين (٨٩) .

واضاف محمد احمد المهدى الى ما سبق من مبادىء دعوته الى اقامة الحدود الشرعية مثل قطع يد السارق . ورجم الزانى ، وينتهج طريقة المرابطين حين يعاقب على ترك الصلاة (٩٠) . ولكنه اشتط حين اعلن : ان

---

(٨٥) د. جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٤ .
(٨٦) د. حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(٨٧) نعوم شقير : تاريخ السودان .. حـ ٣ ص ١٣٧ .
(٨٨) د. جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٣ .
(٨٩) نعوم شقير : المرجع السابق ص ١٤٥ خ
(٩٠) عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٢٤ .

من شك في مهديتنا وانكر وخالف فهو كافر ودمه هدر وماله غنيمة (٩١) . وقد الزم اتباعه ببيعة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله . اما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله ، والا تشرك به احدا ، ولا تسرق ولا تزنى ،ولا تأتى ببهتان ولا تعطيل في معروف ، بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضا بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الاخرة وعلى ان تفرض الجهاد (٩٢) .

رابعا : المضمون الاجتماعى عند الدعوات السلفية :

يشيع بين البعض أن دعوات الاصلاح السلفية ذات مضمون دينى فقط وليس لها مضمون اجتماعى، اىأن اصحاب هذه الدعوات لم يكن لهم برنامج اجتماعى ، والحقيقة غير ذلك لان برنامج الاصلاح عند كل صاحب دعوة سلفية كان برنامجا شاملا موجها الى مجتمعات ذات تراث دخلته شوائب ، والاصلاح الاجتماعى امر له اهميته لنجاح مبادىء الاصلاح الشاملة .

فاذا بدانا بالمضمون الاجتماعى في فكر الامام محمد بن عبد الوهاب باعتباره صاحب اول دعوة سلفية ناجحة في الوطن العربى لوجدنا هذا المضمون يتمثل في قيامه برحلات الى الحجاز حيث ادى فريضة الحج وزار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ، واجتمع هناك الى فقهاء وعلماء من مذاهب سنية متنوعة ، ورأى ما يحدث أمام قبر الرسول عليه الصلاة والسلام من بدع ومن نداءات شركية وطلب الغوث والشفاعة ، وسمع من أستاذه وصفا لهذه الاعمال بقوله استنادا الى قول الله تعالى :

« ان هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون » (٩٣) .

وقام محمد بن عبد الوهاب برحلة اخرى الى العراق حيث مكث بمدينة البصرة اربع سنوات شاهد خلالها ما يفعله غلاة الشيعة عند قبور واضرحة الاولياء وآل البيت من تقديس واعمال تدل على الجهل والضلالة ، فأخذ ينتقد هذه الاعمال حتى ضاق به اهل البصرة واستنكروا صراحته في نقد

---

(٩١) نعوم شقير : المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٩٢) نفس المرجع ص ١٣٩ .
(٩٣) عبد العزيز آل الشيخ : تعقيب على كتاب الدعوة الوهابية لعبد الكريم الخطيب ص ٤٧ .

افعالهم المنافية لجوهر الدين الاسلامى فاخرجوه من بلدهم فحدثته نفسه بالذهاب الى الشام ولكن ضيق ذات اليد جعله يعدل عن فكرته هذه ويتجه الى بلدة « حريملا » بنجد وفيها أعلن دعوته .

وتجلت شمولية الدعوة الوهابية في التفكير في نشرها بين المجتمعات الاسلامية في شبه الجزيرة العربية وخارجها ، وفي منع خروج النساء خلف الجنائز الى القبور ، وغير ذلك من امور اجتماعية تشوه صورة المسلمين وتبعدهم عن الاسلام . ان قطع « ذكر » للنخيل كان الناس يتبركون به . وقطع شجرة عرفت باسم « شجرة الذيب » كثر زوارها وقاصدوها ، واقامة الحد على امراة من بلدة العيينه « اعترفت بارتكاب الزنا بعد ان تأكد الامام من سلامة عقلها وصحة فعلتها ، كل ذلك مضامين اجتماعية سعى الامام محمد بن عبد الوهاب الى توجيه مجتمع نجد اليها وادراك حقيقتها خاصة بعد أن قام جماعة ممن كانوا مستمتعين ببعض الاباحات الكاذبة التى خلفتها لهم دولة القرامطة يصرخون ويحتجون على أفكار الوهابية الاصلاحية .

ولا يقلل من وجود مضمون اجتماعى في فكر محمد بن عبد الوهاب مقاومة بعض القبائل في شبه الجزيرة العربية لمبادىء الدعوة الوهابية ، لان هذه المقاومة هى نتيجة لما طبعت عليه تلك القبائل من حب القتال والاغارة على من جاورهم أو الهجرة الى ارض جديدة ، وشيوع العصبيات المحلية القبلية التى تمزق المجتمع واستمرار غارات السلب والنهب والغزو كمصدر للعيش في الصحراء ، الى جانب عدم المثول لسلطة الغير والقتال في سبيل عدم الانضواء تحت راية قبيلة أخرى مهما كانت هذه القبيلة ذات رسالة للاصلاح .

ولم يكن الجانب الاجتماعى في الدعوة السنوسية ببعيد عن جوانبها الدينية والسياسية . ذلك أن الجانب الاجتماعى عند السنوسية يتمثل في نشر فضائل الاسلام عن طريق الزوايا التى مارست دورا كبيرا بل الدور كله تقريبا في نشر الدعوة السنوسية ليس فقط في برقة بل في غيرها من الاقطار العربية امتدادا من الحجاز مرورا بمصر حتى أقطار الشمال الافريقى، وايضا نشر الدين الاسلامى بين شعوب غرب ووسط افريقيا الوثنيين (٩٤) .

---

(٩٤) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٦٤ .

ويتضح الجانب الاجتماعى في فكر الامام محمد بن على السنوسي من كلماته لاحدى القبائل حيث جاء فيها : انا نريد ان ننشر السلام بينكم وبين الاعراب الذين يغيرون على بلدكم ويستعبدون اولادكم ، ويبتزون اموالكم ، وانا بعملنا هذا نقوم بما امر الله به في كتابه العزيز حيث قال سبحانه وتعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » ، ويقول سبحانه وتعالى ايضا : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى المساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم (٩٥) .

كما تمثل الجانب الاجتماعى عند السنوسيين في دعوة امامهم اياهم بعدم الاقتصار على العبادة والتصوف بل دفعهم الى ان يكونوا عبادا عاملين منتجين في الزوايا التى تضم الى جانب المسجد والمدرسة المزرعة والمتجر ، يقوم المسلمون فيها بالعمل في شتى المجالات التى تحويها الزاوية ، ولعل خير ما يمثل هذه الروح التى ارادها صاحب الدعوة أن تكون روح الجميع ، هو أن بناء الزاوية نفسه كان يقوم به اهل القبيلة او القبائل التى تبنى في أرضها الزاوية ، فالزاوية اذن منذ وضع حجرها الاساسي كانت رمزا للنشاط والانتاج (٩٦) .

وقد أمكن للدعوة السنوسية بفضل دعاتها وزواياها المنتشرة بين القبائل في برقة وغيرها من الاقطار العربية والافريقية ان تؤاخى بين القبائل المتدابرة وان تؤلف بينها وتعلمها كيف يكون الاخاء وكيف يكون الايثار ، حتى اصبحت كلمة « الاخوان » تعنى الوفاء والاخلاص ، وتذكرنا بالاخوة الاسلامية في عهدها الاول (٩٧) . الى جانب تحويل المناطق المقفرة ومعاقل قطاع الطرق الى اماكن امن يأوى اليها الناس للاهتداء الى سواء السبيل وحفظ القرآن الكريم ومدارسة العلوم الدينية واللغوية .

وعلى هذا فأن تأثير الدعوة السنوسية الاجتماعى كان انقطاع الخلافات بين القبائل العربية التى اخذت ترتبط فيما بينها برباط الدعوة السنوسية والاخوة الاسلامية ، وانقطعت الاغارات على المضارب وامن المسافرون في

---

(٩٥) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٦ .
(٩٦) د. نقولا زيادة : المرجع السابق ص ٧٠ .
(٩٧) جامعة السيد محمد بن على السنوسي الاسلامية .. ص ١٦ .

الصحراء من غزوات قطاع الطرق ونهبهم لامتعتهم ، فانصرف النـاس الى الانتاج الزراعى في ارض الزوايا والى الرعى في مراعى الزوايا ، وسـارت قوافل التجارة في امان لخير الناس دون ان تتعرض لما كانت تتعرض له من قبل من مصاعب في الوقت الذى تعددت فيه الزوايا بتعدد القبائل (٩٨) .

وحرص الامام محمد بن على السنوسى ان يجعل من اتباعه ومن شيوخ الزوايا بصفة خاصة قدوة في المعاملات الاجتماعية ، اذ رأيناه يوصي العلامة ابن الشفيع خليفته في زاوية المدينة المنورة بقوله : وحسنوا اخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير وللصغير . واتبعوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفقوا فأن الرفـق ما كان في شيء الا زانه ، وان الحمق ما كان في شيء الا شانه ، وارفعوا همتكم عن الخلق وقال : عليكم بالمناصحة والمذاكرة وارشاد عباد الله اليه والمدارسة والاجتماع والتحابب والتوادد فيما بينكم ، ولاتباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا وعلى البر اعوانا (٩٩) .

وخلاصة القول ان الزوايا السنوسية كانت مجتمعات متكاملة يقـوم فيها كل فرد بالواجب المناط به كمواطن مسلم وينال حقه كاملا وهى خلايا اجتماعية ومراكز ثقافية اسلامية ساهمت عن طريق رجالها بالوظيفة الشاملة التى ارادها لها مؤسس الدعوة السنوسية ، تلك الوظيفة التى لم تقتصر على الناحية الاجتماعية والدينية بل تعدت ذلك لتشمل النواحى التعليمية والاقتصادية والاستراتيجية .

واما ما يختص بالمضمون الاجتماعى في فكر الامام محمد احمد المهدى ، فانه ينبع من كونه ينحدر من قبائل «الكنوز» الذين يقيمون في النوبة وينتمون الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وانتسابه الى قبـائل الكنـوز قد جنبه الانتساب لاحـــدى المجموعتين القبليتين العربيتين الكبيرتين في السودان وهى « جهينة » « والجعليين » المتنافستين بل المتعاديتين فتجنب بذلك عداء مجموعة لم ينتسب اليها (١٠٠) ، واتجه بدعوته الى التنظيمات القبلية الاقل قوة من تلك المجموعتين والتى سارعت الى تأييده تحقيقا لمغنم أو تأثرا بدعواه وشخصيته .

---

(٩٨) د. رأفت الشيخ : المرجع السابق ص٢٦٥ ـ ٢٦٦ .
(٩٩) جامعة السيد محمد بن على السنوسي الاسلامية ، الملاحق .
(١٠٠) د. حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٣ .

وانطلاقا من اختلاط محمد احمد المهدى بالناس على جميع المستويات اثناء ترحاله في طلب العلم ادرك مدى ما يقاسونه من مظالم وفقر وبؤس ومدى ما هم فيه من ضلالة وخرافات ، فدعا الى تبسيط بعض مظاهر حياة الناس الاجتماعية مثل خفض المهور عند الزواج ، ومنع النساء من لبس الذهب والفضة ، والنهى عن شعر العارية اى خروج النساء مكشوفات الرأس ، وعدم الاحتفال بالأعراس ، ومنع البكاء وراء الميت وابطال السحر والتعزيم (١٠١) . كل تلك مبادىء اجتماعية راى محمد احمد انها تنقى المجتمع العربى في السودان من الخرافات وتقوى من عوده لكى يواجه الحكام الظالمين.

اعتمد محمد احمد المهدى منذ البداية على التنظيمات القبلية لانجاح دعوته ، ومن بعده سار خليفته عبد الله التعايشي على نفس السياسة ، فوجدنا المهدى لكى يزيد من انصاره يحاول استرضاء القبائل بأباحة تجارة الرقيق بعد ان كانت الحكومة تحرم هذه التجارة ، لان تجار الرقيق كانوا يمثلون في البلاد طبقة قوية من الاعيان والتجار وزعماء القبائل الذين كانت في يدهم الثروات الكبيرة والذين راوا في المهدية ما يحقق مصالحهم . هذا بالاضافة الى جهل الاهالى وسرعة تصديقهم للخرافات والاوهام واعتقادهم من قبل بقرب ظهور المهدى المنتظر ، فأقبلوا على دعاوى محمد احمد يصدقونها ويؤمنون بها دون تفكير ولا تحقيق (١٠٢)

وكان لشخصية محمد احمد المهدى تأثير قوى في نفوس مريديه وانصاره ، فعن طريق قوة شخصيته استطاع ان يجمع حوله الانصار وان يبعث فيهم روح الطاعة لاوامره والاستخفاف بالموت في سبيل تأييد دعوته ، ولقد كان لمزاياه الشخصية وما عرف عنه من الزهد والصلاح والتقوى وايمانه بدعوته وذكائه وحزمه ، أثره في نجاح دعوته وفي انتصاره على قوات الحكومة في عدة معارك .

ومما يؤكد ارتباط المضمون الاجتماعى للمهدية بشخصية محمد احمد ان زعامة المهدى اثناء حياته وسمعته وشهرته الشخصية كزعيم دينى قبل اى اعتبار آخر كفت عندئذ لتوجيه دعوته ، فعاشت هذه الدعوة التى اتخذت طابع الثورة من غير تنظيم لان زعامة المهدى اغنت عن التنظيم في هذه

---

(١٠١) د. حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(١٠٢ عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١١١ .

المرحلة (١٠٣) ، الا ان المهدية بعد موت صاحبها عاشت فترة من الانقسامات والخلافات بين القبائل وحكومة الخليفة عبد الله التعايشي .

خامسا : الاتجاهات السياسية في الدعوات السلفية :

كان للدعوات السلفية اتجاهات سياسية حرصت على الاخذ بها والاعتماد عليها في نشر الدعوة ومبادئها ، ولقد تشابهت الدعوات الثلاث في ان يمسك العرب زمام حكم انفسهم بأنفسهم ليتمكنوا من تطبيق المبادىء السلفية ، خاصة ان الدولة العثمانية كانت تمسك بزمام الامور في معظم البلاد العربية وتخضعها لسيادتها عن طريق حكام غير عرب . كما ان الحكم العثمانى مسئول عما اصاب العرب المسلمين من تخلف وشيوع الجهل والفقر بينهم نتيجة العزلة التى فرضها العثمانيون على الاقطار العربية الى جانب ما اتسم به الحكم العثمانى من رجعية وعدم تجديد .

واذا كانت الدعوة الوهابية قد انطلقت من نجد بشبه الجزيرة العربية ونجد لم تطأها قدم العثمانيين . فان سيطرة العثمانيين على الحجاز والعراق واليمن بل والاحساء والكويت ثم قطر قد أحاط بنجد بحيث يقف الوجود العثمانى حائلا دون امتداد الدعوة .

وحيث وجد محمد بن عبد الوهاب انه في حاجة الى قوة سياسية تكون صنوا لدعوته الدينية وتعمل على نشرها داخل نجد وخارجها ، فقد تمثلت تلك القوة في الاسرة السعودية التى تنتسب الى قبيلة عنزة احدى قبائل ربيعة، والتى يعد سعود بن محمد بن مقرن مؤسسها باعتباره اول من سيطر على منطقة الدرعية ، وبعد وفاته عام ١١٣٧ هـ الموافق ١٧٢٤ م تعاون ابناؤه فيما بينهم على بسط نفوذهم في هذه المنطقة حتى وفد اليهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاهد مع الامير محمد بن سعود على تطبيق ونشر المبادىء الدينية الاصلاحية (١٠٤) .

وقام تحالف محمد بن عبد الوهاب والامير محمد بن سعود على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله واقامة الشريعة الاسلامية والامر بالمعروف

---

(١٠٣) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٤١٥ .

(١٠٤) د. حسن سليمان محمود : المملكة العربية السعودية ص ٧٢ .

والنهى عن المنكر ، وان يظل الامام ـ محمد بن عبد الوهاب ـ مقيما في الدرعية لا يبارحها ولا يتحلل من هذا التحالف ، وجاء تعهد الامام للامير السعودى في العبارة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة : « الدم بالدم والهدم بالهدم » (١٠٥) .

كان التحالف بين محمد بن عبد الوهاب والاسرة السعودية في الدرعية بداية لنشر الدعوة الوهابية في بقية بلاد نجد وانحاء شبه الجزيرة العربية وبداية للصدام مع الدولة العثمانية ، وقد انطلق الحليفان لنشر الدعوة خارج الدرعية باعداد الجيوش التى توجه لرد المهاجمين والمناهضين للدعوة، وارسال الرسائل الى الحكام والامراء للدخول في الدعوة (١٠٦) ومما يجب ملاحظته ان الامام محمد بن عبد الوهاب اهتم بالجانب الدينى للدعوة وترك شئون الحكم والسياسة لآل سعود وقد تم ذلك في تناسق كامل انطلاقا من التحالف بين الطرفين ، وسارت الدعوة الوهابية بعد وفاة محمد بن عبد الوهاب على نفس السياسة اذ اهتم ابناؤه وعلماء الدعوة بالناحيةالدينية بينما استمر آل سعوديحكمون ويعملون على نشر مبادىء الدعوة التى صارتمذهبا تدين به الدولة السعودية وتعمل في ظله وتسعى لنشره وتحارب من اجله .

وكانت الاتجاهات السياسية عند الدعوة السنوسية تقوم على أن الدين الاسلامى لم يفرق منذ ظهوره بين الدين والدولة منذ زمن الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وخلفاء بنى امية وبنى العباس بل وحتى سلاطين آل عثمان في تركيا جمعوا في يدهم السلطتين الدينية والزمنية ، وحيث أن الاسلام كان دينا وسياسة فانه منوط بصاحب الدعوة أن يجمع بين الصفتين الدينية والسياسية لتدبير شئون الدنيا للمسلمين الى جانب شئون الدين (١٠٧) .

وعلى هذا كانت الدعوة السنوسية وسيلة لانشاء الامارة لانها أوجدت بفضل النظام الدقيق الذى وضعته لاتباع الطريقة نوعا من السيادة الدينية

---

(١٠٥) كناية عن الارتباط الوثيق بينهما كل منهما ولى دم الآخر يطلب به ويثأر له ويهدم بيت أعدائه اذا هدموا بيته . عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق ص ٦٦ .

(١٠٦) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٢١ .

(١٠٧) نفس المرجع . ص ٢٢٦ .

والدنيوية معا على خير ما يقيمه الاسلام من اسس لذلك ، حتى اصبحت السنوسية تسيطر على افئدة المسلمين الذين بلغتهم هذه الدعوة (١٠٨) ، عن طريق الشيوخ والاخوان والدعاة الذين يختارهم صاحب الدعوة ويعدهم اعدادا دينيا وسياسيا يؤهلهم لقيادة القبائل التى توجد بأرضها الزوايا السنوسية .

ومما يؤكد الاتجاه السياسي للدعوة السنوسية الى جانب التنظيم المحكم لادارة الزوايا دعوة محمد بن على السنوسي اتباعه بالاستعداد الحربى بتعلم الرماية واستخدام السلاح وركوب الخيل وعدم الاكتفاء بتعلم العلم او ممارسة العبادات والشعائر الدينية لان المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف ومن ثم طلب من كل فرد من الاخوان السنوسيين ما دام قادرا وغير عاجز او مشغول ان يكون مستعدا للطوارىء متهيئا للحرب منتظرا للامر منفذا له بكمال طاعته ، ومن كان فقيرا فسلاحه وراحلته من الزوايا أالتابع لها او من اغنياء الاخوان انفسهم (١٠٩) .

وكان تسليح السنوسيين دليلا على وضع الاساس المادى للامارة السنوسية بوجود قوة عسكرية جاهزة ومستعدة للدفاع عن الدعوة والامارة ضد اعدائها سواء كانوا من القوى المحلية او الخارجية ، وقد اثبت السنوسيون وجودهم في مواجهة الغزو الفرنسي لغرب افريقيا اواخر القرن التاسع عشر ، وفي مواجهة الغزو الايطالى لليبيا أوائل القرن العشرين .

كما تمثل الاتجاه السياسي عند السنوسية في وصية صاحب الدعوة باسناد رئاسة الدعوة والامارة الى الاكبر الارشد من الاسرة السنوسية ، بالاضافة الى اتباع نظام البيعة الاسلامى ، اذ عمل محمد بن على السنوسي في حياته على تقديم ابنه الاكبر « محمد المهدى » للصلاة والبسه السيف وخلع عليه عباءة « جردا » وصافحه دليلاعلى المبايعة ، ومن ثم تقدم كل الحاضرين من افراد الاسرة السنوسية ومن الاخوان الى مصافحة ـ مبايعة ـ محمد المهدى ، فكانت تلك المبايعة قبولا منهم في حياة صاحب الدعوة نفسه . وبذلك جمعت السنوسية في نظام الحكم

---

(١٠٨) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين دولة ص ٤٥ .
(١٠٩) نفس المرجع ص ٥٢ .

بين مبدأ الوراثة الصلبية والعمل بمبدأ الشورى ، وحققت في هذا بعض شروط الامامة (١١٠) .

وهكذا جاء الاتجاه السياسى عند السنوسية مرتبطا بالجانب الدينى في شخص صاحب الدعوة الذى نادى بالعودة الى السلف الصالح في الامور السياسية الى جانب النواحى الدينية والاجتماعية حيث كانت شروط الخلافة الاسلامية تقوم على اعتبار الخليفة عربى مسلم قرشي ومن بيت النبوة وهذه الشروط تنطبق عليه . ومن ثم انتقد سيطرة الدولة العثمانيةعلى العالم العربى بسبب مسئوليتها عن تمكين العناصر التركية من الغلبة علىشعوبها العربية واقامة الحكومة الاستبدادية في بلادهذه الشعوب (١١١).

وفي هذا الاطار اختلفت السنوسية عن الوهابية في الشكل ، اذ بينما ترك محمد بن عبد الوهاب شئون الحكم والقوة والسياسةللاسرة السعودية في اطار التحالف الابدى بين الطرفين ، جمع محمد بن على السنوسي السلطتين الدينية والزمنية في يده وفي يد بنيه من بعده حتى اقيمت آخر الامر الامارة السنوسية ثم المملكة « السنوسية » .

وأما الاتجاه السياسي عند المهدية فقد قام على ايمان محمد احمد بارتباط الدين بالسياسة اى بين الظواهر الدينية والامور السياسية ، اذ انه اعتبر هذين الميدانين متصلين ومرتبطين احدهما بالآخر تمام الارتباط ، كما كان عليه الحال في العصور الاسلامية الاولى ، فكان رأس الدولة هو أمير المؤمنين وامامهم ، وكان على هذا الشعب ان يطيعه ما لم يوصه بمعصية الخالق ، والمهدى يتفق في هذا مع السنوسية ، الا انه كان يهدف الى هدم الحكومة القائمة أولا ثم اقامة حكومة دينية في مكانها تعمل على تطبيق الشريعة ، ويصبح هو ــ اى محمد أحمد ــ رئيسها الدينى والزمنى في آن واحد (١١٢) .

ولم يتوجه محمد أحمد بمبادئه الاصلاحية الى الحكومة القائمة ، وهى الحكومة التى يراسها حكمدار يعينه باشوات مصر من اسرة محمد

---

(١١٠) د. محمد شكرى : المرجع السابق ص ٥٥ .
(١١١) نفس المرجع ص ١٧ .
(١١٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٢٥ .

على منذ فتح السودان عام ١٨٢١ م ، لانه اخذ على رجال الحكم ابتعادهم عن تعاليم الاسلام ، وانما توجه بمبادئه الى القبائل السودانية التى رحبت في معظمها بالدعوة المهدية لتحقيق مغانم اقتصادية وسياسية كاباحة تجارة الرقيق والغاء احتكار الحكومة لمعظم السلع المهمة بالسودان ، وكان على راس المؤيدين للمهدية قبائل البقارة العربية وقد أيد زعيمها عبد الله التعايشي الدعوة المهدية وحاول ان يجعل محمد أحمد يعلن انه « المهدى المنتظر » على شريطة أن يستوزره (١١٣) .

وتجلى الاتجاه السياسي للمهدية ايضا في القاء محمد احمد باللائمة على الاوروبيين فيما حدث للدين الاسلامى والمسلمين من احداث بدلت احوالهم الى الاسوا . وخاصة الانجليز الذين سيطروا على الامور حتى في مصر ذاتها . كما انه هاجم الخديوى توفيق لأنه أحل للانجليز الذين جاءوا بكبرهم وخيلائهم الدماء والاموال والاعراض ، وهذا ليس من صفات الحاكم العادل المسلم الحق ،وان الاسلام يدعو الى طرد هذا العدو . وان يكون المسلمون يدا واحدة على اقامة الدين واخراج اعداء الله من بلاد المسلمين ، لان هؤلاء الاعداء قد ظلموا امة محمد ، وان رد الظلم لا يتم الا بالقضاء عليه (١١٤) .

ولم يكتف المهدى بالدعوة لطرد الاوروبيين ، بل طالب بطرد المصريين من السودان باعتبار ذلك الوسيلة التى يمكن عن طريقها تقرير العدالة . ورفع الظلم ، وليملأ السودانيون المناصب التى يشغلها الاوروبيون والمصريون . ولرفع البؤس واليأس عن السكان الوطنيين (١١٥) ، والتخلص من سوء الادارة التى نشأت بسبب استخدام البريطانيين في عمليات التوسع والحكم المصرى في السودان (١١٦) ، واعلن محمد أحمد وجوب الامتناع عن دفع اية ضريبة غير العشور او الزكاة فقط التى نص عليها الكتاب الكريم ، ثم دعا الى شيوع الملكية فلا يستأثر مؤمن بمال او عقار دون اخيه المؤمن ، بل يجرى توزيع الثروة على الجميع بالتساوى (١١٧).

كما تمثلت الاتجاهات السياسية عند المهدية في كونها حركة عالمية لا محلية تريد ان تمد يد الاصلاح الى الاقطار الاسلامية كلها ، ويظهر ذلك

---

(١١٣) د . محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٢٩٢ .

(١١٤) نعوم شقير : المرجع السابق جـ٣ ص ٣٧٤ .

(١١٥) Hamilton : The Anglo Egypian Sudan. P. 67.

(١١٦) Sudan Notes and Records, Vol. XL (1959) P. 79.

(١١٧) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٢٩١ .

من كتب ورسائل المهدى وخليفته عبد الله التعايشي الى الملوك والزعماء في الاقطار العربية والاسلامية ، وقد اهتز لحركته المسلمون جميعا وراوا فيها رغبة مخلصة لاصلاح احوال المسلمين ، وقد جاءته الوفود من مصر والحجاز والهند وبلاد المغرب (١١٨) ، كما تظهر تلك الدعوة العالمية من فكرته بتأسيس دولة اسلامية مترامية الاطراف تكون عاصمتها مكة المكرمة .

وكان المهدى يسعى الى وحدة وادى النيل تحت زعامته وان كان لم يرسل جيشا لضم مصر في حياته بسبب وفاته المفاجئة بعد سقوط الخرطوم في يده بخمسة شهور تقريبا ، فقد وجه خليفته عبد الله التعايشي ثلاث رسائل في مارس ١٨٨٧ م الى كل من السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية والخديوى توفيق باشا مصر والملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى يدعوهم فيها الى اعتناق المهدية قبل ان تطأ جيوشه بلادهم وتنتقم منهم ، وكان غرضه خصوصا من الكتابة الى هؤلاء الثلاثة الحصول على اعترافهم بحكومته (١١٩) . وحتى يأمن على بقاء السلطة في يده وانتقالها الى ذريته من بعده ، ويحقق في نفس الوقت أمل المهدية في السيطرة على كل وادى النيل شماله وجنوبه ، ثم ارساله جيشا يقوده عبد الرحمن النجومى لغزو مصر في مايو ١٨٨٩ م ، ولكن هذا الجيش لقى الهزيمة فتوقفت مشروعات المهدية لضم مصر الى السودان تحت راية المهدية .

وكان من الاتجاهات السياسية عند المهدية ايضا التعاطف مع الحركة الوطنية العرابية في مصر ، واذا كان عرابى لم يخف وهو في منفاه تأييده وميله الى المهدى واعلن انه كان ينوى تعيينه حاكما عاما على السودان(١٢٠). فان المهدى كان يعطف على عرابى ، ولعل قيام عرابى ضد الحكومة المصرية الخديوية قد صادف هوى في نفسه مما شجعه على تقليده وجعله موضع عطفه وتقديره (١٢١) ، ويذكر البعض ان المهدى ـ أثناء حصار الخرطوم في

---

(١١٨) د . حسن محمود : المرجع السابق ص ٤٠٩ .
(١١٩) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٤٢٥ .
(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ص ١١٤ .
(١٢١) ابراهيم فوزى باشا : السودان بين يدى غوردون وكتشنر حـ ١ ص ٣٩٨ .

يناير ١٨٨٥ م ـ أمر رجاله بالمحافظة على حياة جنرال غوردون ، الانجليزى المكلف باخلاء السودان من المصريين ، قائلا : انى اريد ان افتدى به احمد عرابى باشا (١٢٢) . وهذا الاتجاه السياسي يدل على عمق الروابط بين الشعبين المصرى والسودانى ووحدة وادى النيل .

ومن الاتجاهات السياسية عند المهدية كذلك محاولة اقامة تحالف مع السنوسية في برقة لغزو مصر ولنشر المهدية في شمال وغرب افريقيا ، ولكن زعيم السنوسية ـ محمد المهدى ـ رفض الانضمام الى المهدية بسبب العنف الذى صحبها في الانتشار بالسودان خاصة ما كان يجرى بعد الانتصار في المعارك العسكرية على قوات حكمدارية الخرطوم من قتل للانفس البريئة وسلب لاموال الناس وهتك للاعراض ، ومن ثم راينا « محمد المهدى السنوسي » يطلب الى الشعوب الاسلامية في افريقيا خاصة في سلطنات « واداى » و « برنو » والبلاد المجاورة ان تمتنع عن تأييد « مدعى المهدى » محمد أحمد (١٢٣) .

كذلك من اتجاهات المهدية السياسية ادعاء محمد أحمد أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم يأتيه في المنام ، وعندما انتقل من جزيرة « آبا » الى « جبال النوبا » بكردفان أطلق على هذا الانتقال هجرة ومن صحبه من الاتباع مهاجرين ، كما أطلق على اهل كردفان الذين استقبلوه في ارضهم وسمحوا له بالبقاء فيها ، اسم الانصار (١٢٤) ، كما انه اتخذ له أربعة خلفاء تشبها بالخلفاء الراشدين ،كان الخليفة الاول عبدالله التعايشي زعيم قبائل البقارة ، وعرض محمد أحمد على « محمد المهدى السنوسى » أن يضعه في مقام الخليفة الثالث ـ عثمان بن عفان ـ في نظير ان يقوم « السنوسي » من جهته بشن الحرب على الانجليز في مصر ، ولكن السيد السنوسي رد على مهدى السودان : بأن مقام عثمان لا يناله لا انا ولا انت (١٢٥) .

وهكذا كانت اتجاهات المهدية السياسية عنف وتطرف في معظم نشاطها ، ومن ثم لا نعجب أن اعتبر المؤرخون المهدية بأنها ثورة اكثر من

---

(١٢٢) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ٤١ .
(١٢٣) د . محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٧١ .
(١٢٤) د . رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٣٧ .
(١٢٥) د . محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٧٢ .

اعتبارها دعـــوة ، هذا على الرغم من أن المهدية في جانبها الســـياسي اتفقت في بعض الامور مع الوهابية والسنوسية كاقامة الدولة الاسلامية ونشر الدعوة ووجود الامامة ...

سادسا : تقييم الدعوات السلفية الثلاث :

على الرغم من تقسيم الدعوات السلفية الثلاث في الدراسة الى جوانب دينية واخرى اجتماعية وثالثة سياسية ، فان لهـذه الدعوات رسـالة شاملة ، ورغم ما وجد من ســلبيات علقت بتنفيذ مبادىء دعوة أو اكثر منها ، فان اثرها في اليقظة الاسلامية لا يمكن انكاره ، وليس ادل على ذلك من استمرارها حية في نفوس العرب والمسلمين حتى يومنا هذا .

فالدعوة الوهابية وان اتهمها البعض بالشدة في تطبيق مبادئها ، فانها ليست بدعة جديدة ولكن الجديد فيها هو ظهورها في زمن بدا فيه ان كل شيء مخالف لما درج عليه الناس منذ سنوات ، واصبح من عاداتهم يعتبر بدعة مدعاة للاستنكار،واذا كانت الدعوة قد لقيت معارضة،فان ذلك سنة كل جديد على القوم في كل زمان بل وفي كل مكان (١٢٦) . ولم يلجأ الوهابيون الى مقاتلة معارضيهم الا بعد اقامة الحجة ، وفي ذلك يذكر الامير سعود الكبير الذى فتح الحجاز منذ عام ١٢١٨ هـ الموافق ١٨٠٣ م ، اننا ندعو النـاس الى وحدانية الله ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع السلف الصالح من الامة (١٢٧) .

والدعوة الوهابية دعوة اصلاحية خالصة غرضها اصـلاح الخرق، ونسخ الشبهات وابطال الاوهام ونقض التفاسير المختلفـة والتعـاليم المتضاربة التى وضعها اربابها في عصور الاسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الاولياء (١٢٨) ، وان محمد بن عبد الوهاب لم ينظر الى المدنيـة الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه في اصلاحه الى الحياة المـادية ،

---

(١٢٦) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(١٢٧) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار في التراجم والاخبار ، احداث يوم ٢٩ صفر ١٢١٨ هـ ، صورة كتاب الامير سعود الكبير لحجاج بيت الله الحرام .

(١٢٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٦٤ .

وانما اتجه الى العقيدة وحدها ، فعنده أن العقيدة والروح هما الاساس وهما القلب ان صلحا صلح كل شيء ، وان فسدا فسد كل شيء (١٢٩) .

ويصور الدكتور طه حسين بأسلوب بليغ دعوة محمد بن عبد الوهاب التى اثارت الانتباه العالمى خلال القرن الثامن عشر الميلادى وما بعده في قوله : ان مبدأ الحركة جديد وقديم معا ، انه جديد بالنسبة الى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الامر لانه ليس الا الدعوة القوية الى الاسلام الخالص النقى المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية ، هو الدعوة الى الاسلام كما جاء به النبى خالصا لله وحده ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس ، هو احياء للاسلام العربى وتطهير له مما اصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب (١٣٠) .

وعلى هذا فلا يمكن اغفال تأثير الدعوة الوهابية على الفكرة العربية التى كانت مغمورة تحت السيطرة التركية على الاقطار العربية ، واذا كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب قد اهتدت بها حركة محمد بن على السنوسي الاصلاحية في ليبيا وحركة محمد احمد المهدى في السودان ، وفكرة الجامعة الاسلامية في مصر طوال القرن التاسع عشر ، فان الدعوة الوهابية قد نبهت اذهان العرب بضرورة ايقاظ وعى العروبة واعادة امجادها ونقض السيطرة التركية ، ولعل هذا الاتجاه كان دافعا لكى تلتف القلوب حول آل سعود العرب الخلص : كماكان له تأثير على فكرة الشريف حسين في الحجاز لاقامة دولة عربية كبرى تشمل شبه الجزيرة العربية والعراق وكل بلاد الشام بعيدا عن السيطرة التركية (١٣١) .

وكان نجاح السنوسية مستندا الى الاسلوب الذى اتبعته في تنفيذ مبادئها ، ذلك الاسلوب السلمى الذى بدأ بالمؤاخاة بين القبائل الاسلامية ونشر الدعوة بينها بالتدريج وبالحسنى ، واستخدام ما عرف « بالزوايا السنوسية » كأداة لنشر الدعوة ، تلك الزوايا التى سارع الى انشائها في ارضهم اهل كل قبيلة وسلموا زمام امرهم الى شيخ الزاوية الذى يعينه

---

(١٢٩) د. احمد امين : زعماء الاصلاح .. ص ١٨ .

(١٣٠) د. طه حسين : الحياة الادبية في جزيرة العرب ، مجلة الهلال مارس ١٩٣٣ م .

(١٣١) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

صاحب الدعوة فانتقلت بذلك الرئاسة والزعامة من شيخ القبيلة الى شيخ الزاوية السنوسية .

كما ان الزوايا التى انتشرت في انحاء شتى من الوطن العربى والافريقى امتدادا من الحجـاز فمصر فبرقة وطرابلس وفزان والجزائر وتونس الى تشاد وموريتانيا والسنغال ، ادت رسالة شاملة تعليمية ودينية واجتماعية وعسكرية . ورغم ان الرسالة الدينية استحوذت على اهتمام الزاوية الاول حين تمثلت تلك الرسالة في التنفيذ العملى لاحكام الاسلام ومبادئه بالحكم الشرعى بين المواطنين والتربية الدينية والخلقية للمريدين والاخوان واعداد الدعاة والمواطنين (١٣٢) . فقد حملت هذه الزوايا رسالتها الشاملة الى الشعوب الوثنية في قلب افريقيا الغربية والسودان والصحراء الكبرى حتى اهتدت هذه القبائل المتوحشة البدوية الى الاسلام طائعة مختارة (١٣٣) .

كما انه بحكم استقرار الزوايا اضطرت كل قبيـلة ان تحافظ على صلتها الدائمة بزاويتها الخاصة بها ، وقد اقتضي منها هذا الموقف عـدم البعد عنها حتى يسهل لها الاتصال بها كلما دعت الضرورة الى ذلك ، وبمرور الزمن تعودت القبيلة نوعا من حياة الاستقرار والاقامة بعد ان كانت لا تعرف لذلك سبيلا (١٣٤) . هذا الى جانب تساوى الجميع في الواجبـات مـع تساويهم في الحقوق ، فكل طالب علم في الزاوية عليه أن يؤدى ما أنيط به من عمل مساءيومى الخميس والاثنين ـ ويوم الجمعة راحة ـ ويسـتوى في ذلك الصغير والكبير والغنى والفقير ، اذ ليس هناك نظام الطبقات المفرق عادة بين صفوف الامة (١٣٥) .

ومبعث نجاح السنوسية كذلك دعوتها الى العمل والانتاج ، ومن المأثور عن « محمد المهدى السنوسي » انه كان يقول للاخوان والمريدين الذين كانوا يطلبون اليه ان يعلمهم الكيمياء : ان هذه تحت سـكة المحراث وانها هى كد اليمين وعرق الجبين ، بل كان يعمل مع العاملين في الزراعة والحرف ويقول: أيظن أهل الوريقـات والسـبيحات ـ اى العابدين القانتين المنعزلين ـ انهم

---

(١٣٢) التعليم الدينى في ليبيا ص ١٢ .
(١٣٣) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٥٠ .
(١٣٤) مصطفى بعيو : المرجع السابق ص ٦٢ .
(١٣٥) محمد الطيب الاشهب : السنوسي الكبير ص ٥٠ .

يسبقوننا عند الله ، لا والله ما يسبقوننا (١٣٦) .

كما كان مبعث نجاح السنوسية واثرها هو بعدها عن الصدام مع القوة الاسلامية المسيطرة في العالم العربي واعني الدولة العثمانية والتهيؤ للوقوف امام قوات الغزو الاوروبية،ومن هنا صار رجال الزوايا مقاتلين اشداءواجهوا الفرنسيين اول القرن العشرين ، في «واداى» وحول بحيرة تشاد ، كما واجهوا الغزو الايطالى لليبيا عام ١٩١١ م ، اذ كانت مقاومة السنوسيين للايطاليين مقاومة منظمة بحكم تنظيم الزوايا السنوسية . فقد كان لبوادر اليقظة الشعبية التى بذر السنوسي بزواياه وتعاليمها وجهود شيوخها بذرتها الاولى ان هب الشعب الليبى ومنذ الوهلة الاولى للدفاع عن ارضه ضد الغزو الايطالى (١٣٧) . وقد استمر الكفاح بقيادة السنوسيين وقائدهم عمر المختار حتى استشهد القائد عام ١٩٣١ م .

واما الدعوة المهدية فقد انشغلت بالعمليات العسكرية والخلافات القبلية مما ادى الى انهيار دولة المهدية في السودان بسرعة في حين لم يدافع عن المهدية الكثيرين من السودانيين الذين عاشوا في كنفها وتحت سلطتها،ولعل سبب ذلك ان المهدية لم تجد من رجالها فلاسفة يؤصلون افكارها ويشرحون تعاليمها ويكونون صفوفا من انصارها يحملون رسالتها ويتناقلونها جيلا بعد جيل . كما ان المهدية بعد موت صاحبها عاشت فترة من الخلافات والانقسامات بين القبائل وبين حكومة الخليفة عبد الله التعايشي (١٣٨) .

وكان يمكن للثورة المهدية ان تصبح حركة وطنية ناجحة لولا ما شابها من عنف وبطش ليس فقط بالاوروبيين والاتراك والمصريين بل بالسودانيين انفسهم . ولولا ادعاء المهدى لامور لا تجد قبولا حتى من السودانيين الذين كان معظمهم يدخلون في طاعة المهدية رغبة في مغنم او خوفا من بطش رجالها. ولولا عجز المهدية عن صد تيار الاطماع الاستعمارية الاوروبية الزاحف لاقتطاع اجزاء من السودان وملحقاته . ففى عهد الخليفة عبد الله التعايشى انتزعت املاك مصر فى الصومال وساحل البحر الاحمر وفي السودان لتلتهمها

---

(١٣٦) د. محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ص ٥٩ .
(١٣٧) محمد مصطفى : العدوان او الحرب بين ايطاليا وتركيا في ليبيا ص ١٦١ .
(١٣٨) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ٣٤٠ .

القوى الاوروبية المتسابقة ، أى ان المهديين عجزوا كل العجز عن الاحتفاظ بتلك الامبراطورية التى اسسها المصريون خلال ستين عاما في شرق ووسط أفريقيا (١٣٩) .

وهكذا كان اثر المهدية في العالم العربى والاسلامى ضئيلا بالمقارنة بتأثيرات الوهابية والسنوسية رغم اعتبارنا لها على انها حركة سلفية اصلاحية وطنية اسلامية معا (١٤٠) .

---

(١٣٩) د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٤١٤ .

(١٤٠) د. رأفت الشيخ : مصر والسودان في العلاقات الدولية ص ١٣٧ وما بعدها .

الجامعة الاسلامية

كانت فكرة الجامعة الاســـلامية مظهرا آخر لليقظة الاسلامية التى اخذت دورها بين الشعوب العربية والاسلامية خلال القرن التاسع عشر، ولكى نستجلى هذه الظاهرة وضوحا علينا ان نلقى الضوء على الظروف التى ادت الى ظهورها ، وعلى الشخصيات التى ارتبطت بها ، وعن الفكرة نفسها ابعادها واهدافها ونتائج الدعوة اليها .

أولا : ظروف العالم الاسلامى :

يمكن القول ان العالم الاسلامى تعرض منذ اوائل القرن الحادى عشر الميلادى لعوامل تخلف وفوضي نتيجة الغــزو الصليبى والوجود التركى في آسيا الصغرى ، ثم جاءت الغزوة المغولية عام ١٢٥٨ م على الجناح الشرقى للعالم الاسلامى ــ ايران فالعراق ــ لتزيد من تخلف المســـلمين وتضرب الحضارة العربية الاسلامية بضربة قاصمة غير تــلك الضربة التى لحقت بالعرب والمسلمين بخسارتهم للاندلس لصالح الكاثوليك الاسبان .

وكان سقوط العالم العربى تحت الحكم العثمانى منذ اوائل القرن السادس عشر الميلادى عاملا آخر لتدهور احوال المسلمين بسبب ما اتصف به الحكم العثمانى من سلبيات اهمها العزلة التى فرضت على العالم العربى والاسلامى . في الوقت الذى لم تكن للاتراك حضارة يفيدون بها العــرب وفي الوقت الذى اخذت اوروبا فيه تنهض وتسير في طريق التقدم والعمران، الى جانب الاستبداد والظلم التركى بالعرب والمســلمين المحكومين الذين تأخروا في كل نواحى الحياة حتى فقــدوا قوتهم وباتوا لاقبل لهم بملاقاة الغرب في اى ميدان (١٤١) .

وزاد الطين بلة ان القرن الثامن عشر الميــلادى شهد تدهورا اكبر في احوال العرب والمسلمين بظهور ما عرف بالحركات الانفصالية او الاستقلالية في الولايات العربية الخاضعة للحكم العثمانى، تلك الحركات التى كانت في جملتها مغامرات شخصية لافراد من الاتراك او المماليك المغامرين الذين كان هدفهم

---

(١٤١) محمود ابو رية : جمال الدين الافغانى ص ٦ .

ارتقاء كراسي الحكم والحصول على مغانم مادية كبيرة والضحية في كل الاحوال كانت الشعوب العربية والاسلامية في الوقت الذى ضعفت فيه الدولة العثمانية فلم تقو على السيطرة على ممتلكاتها وخضعت لما فرض عليها مقتنعة بما يلقيه اليها هؤلاء المغامرون من فتات من الاموال التى يجمعونها قسرا وبشراهة من الرعاية العرب والمسلمين .

وفي نفس القرن ـ الثامن عشر ـ وفي القرن التالى (التاسع عشر) اخذ الاستعمار الاوروبى يحقق وجوده بقوة في الارض الاسلامية حيث شهدت الهند المطامع البريطانية التى انتهت بسيطرة كاملة لبريطانيا على الهند ، ثم على عدن ثم على مصر والسودان واقطار الخليج العربى ، بينما عبرت روسيا القوقاز وبسطت سيطرتها على اواسط آسيا ، في الوقت الذى وجد فيه الاستعمار الفرنسي طريقه الى أقطار الشمال الافريقى العربية الاسلامية . وقاسى المسلمون تحت الحكم الإستعمارى الاوروبى في حياتهم الاقتصادية والدينية والعلمية بما اثر في قوتهم وفي حضارتهم التى كانت مزدهرة يوما ما .

وخير تصوير لحال المسلمين في القرن التاسع عشر ما ذكره الكاتب الامريكى « لوثروب ستودارد » في كتابه « حاضر العالم الاسلامى » عند حديثه عن اليقظة الاسلامية في القرن التاسع عشر (١٤٢) . اذ يقول : كان العالم الاسلامى في القرن الثامن عشر قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ . وانتشر فيه فساد الاخلاق والآداب ، وتلاشي ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى ، واستغرقت الامم الاسلامية في اتباع الاهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس ، وساد الجهل ، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، وانقلبت الحكومات الاسلامية الى مطايا استبداد وفوضي واغتيال ، فليس يرى في العالم الاسلامى ـ في ذلك العهد ـ سوى المستبدين الغاشمين ، كسلطان تركيا واواخر ملوك المغول في الهند يحكمون حكما واهنا .

وفي حياة المسلمين الدينية والاجتماعية لعب رجال الدين المستبدين وغير الامناء دورا سيئا ، حيث كثر عدد الادعياء الجهلاء الذين يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ويوهمون الناس

---

(١٤٢) لوثررب ستودارد : المرجع السابق ص ٢٥٩ .

بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج الى قبور الاليباء ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور،وغابت عن الناس فضائل القرآن،فصاروا يشربون الخمر ، وانتشرت الرذائل ، فقلت الايدى وقعدت عن طلب الرزق وكاد العزم يتلاشي في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة بوارا شديدا ، واهملت الزراعة ايما اهمال (١٤٣) .

وكانت مصر ــ منارة العالم الاسلامى آنذاك بوجود الجامع الازهر وعلمائه ومؤسسات التعليم الحديث التى اوجدها محمد على وحفيده اسماعيل ــ تعيش هى الاخرى عصرا من الفوضي وسوء الحكم ، فلم يكن المصريون آنذاك يرون شئونهم العامة بل الخاصة ملكا لحاكمهم الاعلى ومن ينيبه عنه في تدبير امورهم ، يتصرف فيها بحسب ارادته ، ويعتقدون ان سعادتهم وشقاءهم موكولان الى امانته وعدله ، او خيانته وظلمه ، ولا يرى احد منهم لنفسه رايا يحق له ان يبديه في ادارة بلاده ، او ارادة يتقدم بها الى عمل من الاعمال يرى فيه صالحا لامته ، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى انهم محكومون مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة ، وتضربه عليهم ، وكانوا في غاية البعد عن معرفة ما عليه الامم الاخرى سواء كانت اسلامية او اوروبية (١٤٤) .

وكانت احوال الشرق الاسلامى عامة تسير من سيء الى اسوا ، فالجهل والخرافات والاوهام والعادات والبدع انتشرت بين المسلمين ، كما انتشر بينهم داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم فأخذهم الفقر في كل اقطارهم على غنى بلادهم واتساعها وخصبها ولكنهم بجهلهم لا يعملون على الانتفاع،وشملهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم وتركوا بلادهم نهبا مقسما بين الاروبيين ، ورضوا بأن يكونوا له خداما طائعين (١٤٥) .

ويمكن ان نضيف ما اصاب المسلمين من اسراف وتبذير في الانفاق على افراحهم وأمواتهم حتى يخسرون اموالهم وممتلكاتهم التى يأخذها الاجانب ــ الى جانب داء التواكل الذى كبل عقولهم عن التفكير وايديهم

---

(١٤٣) محمود ابو رية : المرجع السابق ص ٨ .
(١٤٤) رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده حـ ١ ص ٣٥ .
(١٤٥) محمود ابو رية : المرجع السابق ص ١١ .

وأرجلهم عن العمل والسعى واسلموا امرهم للاجنبى،وصاروا يتمسكون بأمثال مثبطة للهمم مؤدية للشلل الاجتماعى مثل قولهم « سيبها على الله » و « لا تفكر ولها مدبر » و « اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب »و «مراد الخالق من الخلق ما هم عليه » و « لهم ـ اى للاجانب ـ الدنيا ولنا الاخرة » و « اذا أعيتكم الامور فعليكم بأصحاب القبور » .

كما يمكن أن نضيف ايضا توضيحا اخر لاحوال المسلمين سوء الحكم وقسوة الحكام الذين ساهموا في سوء احوال المسلمين بابتزاز اموالهم بكل قسوة ، ويفرضون عليهم الجهل والاوهام ويعطون للاوروبيين امتيازات اقتصادية ودينية وقضائية في بلاد المسلمين لا يتمتع بها المسلمون انفسهم ، ومن ثم صارت حياة المسلمين نهبا للحكام الاتراك وللاجانب المحتمين بالامتيازات ، فكانت تلك الايام وبالا على الحكومة والاهالى جميعا ، وكانت سعدا وربيعا للتجار وارباب البنوكة ـ المصارف ـ الغرباء الدخلاء الذين انتشروا بين ابناء البلاد انتشار الذئاب بين الاغنام ، فأثقلت كواهل الفلاحين وغيرهم من الوطنيين بالديون الهائلة واضطرهم العجز لبيع املاكهم ورهن عقاراتهم وأراضيهم او الانسلاخ منها بالكلية واحاط بهم الفقر وصاروا فى أسوأ حال (١٤٧) .

كانت تلك احوال المسلمين التى أثارت مصلحا مثل جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده المصرى للتقدم بفكرة الجامعة الاسلامية لعلاج تلك الاحوال التى كان اخطر ما فيها الاعتقاد الذى ساد بين المسلمين بوجود تعارض بين الاسلام كدين وعقيدة وبين التقدم المادى الحديث ، والنظر الى الحضارة الاوروبية الحديثة نظرة شك وخوف مما يدفعهم الى الابتعاد عن الاخذ بأسبابها ، وساعدهم على ذلك وجود الحكم التركى الذى عمل على ابعاد المسلمين عن الاخذ باسباب التقدم الحضارى الاوروبى ، وفي نفس الوقت اعطاء الاجانب امتيازات متنوعة في الاقطار الاسلامية حيث يمارسون الاستغلال والاحتكار ويكرسون في المسلمين تخلفهم الحضارى .

ثانيا : الشخصيات التى ارتبطت بفكرة الجامعة الاسلامية :

ساد اعتقاد بأن حركة الجامعة الاسلامية كظاهرة من ظواهر اليقظة الإسلامية

---

(١٤٦) المرجع نفسه : ص ١٢ .
(١٤٧) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٦ ـ ٥٧ .

في القرن التاسع عشر ارتبطت بشخصية السيد جمال الدين الافغانى وانها ماتت بموته ، والحقيقة غير ذلك اذ ان فكرة الاصلاح الدينى والاجتماعى والسياسي وجدت عند السيد جمال الدين وهو في بلاده افغانستان كما وجدت عند تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده في مصر ، وعند السيد محمد رشيد رضا الحجازى الاصل بعد اتصاله بالشيخ محمد عبده . ثم ان السلطان عبد الحميد الثانى سلطان الامبراطورية العثمانية ارتبط اسمه بالجامعة الاسلامية حين اراد استغلالها لتدعيم سلطانه وفرض نفوذه على كل المسلمين حتى على اولئك الذين لم يخضعوا من قبل لسلطان الدولة العثمانية .

ولهذا كان علينا ونحن ندرس ظاهرة الجامعة الاسلامية ان نعرف مكونات كل شخصية من الشخصيات التى ارتبطت بها والجهود التى بذلتها كل شخصية في سبيل تحقيق فكرة الجامعة الاسلامية .

أ ـ السيد جمال الدين :

هو السيد محمد جمال الدين بن السيد صفتر الحسينى الافغانى ، ولد « بأسعد اباد » من اعمال « كابل » في عام ١٢٥٤ هـ الموافق لعام ١٨٣٨ م (١٤٨) . من اسرة تنتسب الى آل البيت حيث ينتهى نسبه الى الحسين بن على رضي الله عنهما ، وهذا هو السبب في تسميته بالسيد ، ولعشيرته منزلة عالية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف (١٤٩) .

وبهذا نشأ محمد جمال الدين في بيت شريف وبيت علم ودين ، واستزاد علما من اساتذة مدارس « كابل » القديمة بأخذه علوم اللغة العربية والتاريخ والعلوم الدينية والفلسفية على أيديهم ، الى جانب علوم الطب والفنون الرياضية ، واضاف الى دراسته لهذه العلوم استفادته

---

(١٤٨) عبد المتعال الصعيدى : المجددون في الاسلام ص ٤٩٠ .

(١٤٩) محمود ابورية : المرجع السابق ص ١٥ .

ويذكر الشيخ مصطفى عبد الرازق أن والد جمال الدين اسمه «صفدر» وهى كلمة فارسية من القاب الامام على بن ابى طالب مركبة من كلمة (صف) العربية (در) من فعل دريدان الفارسي بمعنى افترس أو اقتحم (كتاب العروة الوثقى ص ١٧) .

من دراسة أحوال الشعوب الاسلامية بتنقله بين أفغانستان والهند والحجاز ومصر وتركيا ، وتمرسه في الاعمال الادارية والسياسية بارتباطه بالامير الافغانى « دوست محمد خان » والامير « محمد أعظم خان » ، والخديوى اسماعيل بمصر لمدة ثمان سنوات من ١٨٧١ الى ١٨٧٩ ، وحكام الدولة العثمانية بالإستانة وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثانى .

وكانت شخصية محمد جمال الدين بما تميزت به من أسلوب عملى واخلاص علمى هاديه في كل قطر اسلامى ينزل فيه ، ففى مكة انشأ جمعية اطلق عليها « جمعية أم القرى » عام ١٨٥٧ م وأصدر لها مجلة تنطق باسمها عرفت باسم « أم القرى » وتدافع عن أهداف الجمعية المتمثلة في وحدة المسلمين لمواجهة الاخطار المحيقة بهم (١٥٠) . وفي الهند وأفغانستان أثار المسلمين ضد الحكم البريطانى وسياسته الاستبدادية والاستغلالية ، وفي استانبول استقبل هناك عام ١٨٧٠ استقبالا وديا من قبل الحكومة والاوساط العلمية ، هذه الاوساط التى استطاع أن يحدث فيها تأثيرا بعيدا بما ألقى من دروس ومحاضرات في الجامعة المنشأة حديثا (١٥١) .

وفي مصر عاش ثمانى سنوات في رعاية وترحيب من الخديوى اسماعيل الذى شجعه على المضي في دعوته الاصلاحية لان ذلك يوافق غرض اسماعيل في التصدى للنفوذ الاجنبى الذى يحاول سلب السلطة من صاحبها الشرعى ، وعلى هذا فقد نجح جمال الدين في تشكيل حزب من انصاره وتلاميذه عرف بالحزب الوطنى (١٥٢) ، وكان أظهر تلاميذه الشيخ محمد عبده ، وعندما نجحت انجلترا في حمل السلطان العثمانى على عزل الخديوى اسماعيل وتولية ابنه محمد توفيق مكانه عام ١٨٧٩ م غضب توفيق من دعوة السيد محمد جمال الدين الى الشورى لانه اعتقد أن ذلك يؤدى الى الحكم الجمهورى ، وهيجت تعاليمه الفلسفية شيوخ الازهر الجامدين فرموه بالفسوق ، وكانت تعاليم السيد قد أوغرت عليه كذلك قنصل انجلترا العام (١٥٣) ، وانتهى الامر بنفى السيد جمال الدين من مصر الى الهند في عام ١٨٧٩ م .

---

(١٥٠) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٩١ .
(١٥١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٦١٧ .
(١٥٢) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٩٢ .
(١٥٣) محمود أبورية : المرجع السابق ص ١٨ .

ترك جمال الدين مصر بعد أن استطاع ان يبث في نفوس الشبان المصريين الامل في التحرر من السيادة الاوروبية اذا ما اقتبسوا ثقافة الغرب المادية ومناهجه التعليمية ابتغاء الدفاع عن الاسلام بوصفه دينا اكثر امعانا في مضمار الرقى (١٥٤) ، وقد جاءت تأثيرات جمال الدين الاعظم على طلاب الجامع الازهر أثناء اقامته بمصر في الفترة من مارس ١٨٧١ م الى شهر سبتمبر ١٨٧٩ م (١٥٥) .

ومن الهند انتقل السيد جمال الدين الى اوروبا حيث اقام في باريس منذ عام ١٨٨٣ وهناك التقى بالشيخ محمد عبده حيث اصدرا جريدة «العروة الوثقى » التى نطقت بأفكارهما الداعية الى محاربة تدخل الدول الاوروبية في شئون الامة الاسلامية ، ومن باريس انتقل الى لندن عام ١٨٨٦ م ، ثم عاد اليها مرة اخرى في عام ١٨٩٢ م واشترك في تأسيس مجلة شهرية سميت « أخبار الخافقين » التى كانت تصدر باللغتين العربية والانجليزية (١٥٦) .

وانتقل السيد جمال الدين من فرنسا عام ١٨٨٦ الى ايران ثم زار روسيا ، وقد بقى في ايران حتى اضطر لمغادرتها بسبب هجومه على شركة الدخان الانجليزية في ايران ، فسافر الى أوربا حتى اذا كان عام ١٨٩٢ استدعاه السلطان عبد الحميد الى الاستانة حيث بقى بها لمدة خمس سنوات وافته المنية بعدها في ٩ مارس عام ١٨٩٧ ، وقد ذكر انه مات مسموما .

كان هذا هو السيد محمد جمال الدين الذى نذر نفسه للدفاع عن حقوق الشعوب الاسلامية في مواجهة القوى الاستبدادية المحلية والقوى الاستعمارية الاجنبية ، وتلك كانت صفاته التى جعلت الجميع يعرفونه باسم « حكيم الشرق » وصارت هذه الصفة تتردد في كتب الادب العربى (١٥٧) . ذلك انه كان يدعو الى اصلاح أحوال المسلمين في الدنيا

---

(١٥٤) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٦١٨ .

(١٥٥) Holt, P.M. : Egypt and the Feritle Crescent, P. 212.

(١٥٦) محمود ابو رية : المرجع السابق ص ١٩ .

(١٥٧) Kedourie, E. : Afghani and Abduh, P. 1.

والدين ، ويقصد به جميع المسلمين في كل الاقطار ، وقد تأثر بدعـــوته هذه بعض طلاب الاصلاح في مصر وفارس والدولة العثمانيـــة (١٥٨)، وكان يتصور عودة الشعوب الاسلامية للعيش في ظل حكومة اســـلامية واحدة تتخلص من تأثيرات وتدخلات الاجانب السيئة .

ب ـ الشيخ محمد عبده :

هو محمد عبده خير الدين المصرى المولود بقرية محلة نصر مركـــز شبراخيت بالبحيرة عام ١٨٤٥ م ، والذى تعلم كما تعلم ابناء مصر آنذاك في القرى حيث دخل الكتاب ، ثم انتقل الى الجامع الاحمدى بطنطافالجامع الازهر بالقاهرة حيث تعلم على يد شـــيوخ الجامعين وعلى طريقتهم في التعليم ، وان كان قد وقف على أحوال هؤلاء الشيوخ الذين يعيشـــون في عزلة عن العالم فلا يشعرون بما أصاب الاسلام والمسلمين ، ولا يهمـــهم الا أنفسهم داخل الازهر ، وبقوا على الجمود في العلوم القديمة (١٥٩) .

وقد استفاد محمد عبده من أفكار الســـيد جمال الدين الافغانى فارتبط به وبنى شخصيته ليتم مع جمال الدين الرسالة الاصلاحيـــة للمسلمين التى يعمل من أجلها ، ومن ثم تعاون الرجلان خلال فترة وجود الافغانى في مصر وعندما رحل الافغانى من مصر استمر محمد عبده يدعو الى الاصلاح حتى نفاه الخديوى توفيق الى لبنان ، ومن هناك ذهب الى باريس والتقى بالافغانى واصدرا هناك مجلة العروة الوثقى الناطقة بلسان جمعية العروة الوثقى ، ثم عاد الى مصر بعد أن عفا عنه الخديوى توفيق .

ومن الثابت أن الافغانى استفاد من بلاغة وفصاحة الشيخ محمد عبده في الترويج للافكار الاصلاحية التى شارك الرجلان في اظهارهـــا ، وبذلك

---

(١٥٨) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٩٥ .
ويضيف كتاب العروة الوثقى أن السيد جمال الدين لم يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن ، ولم تدخل فكرة الوطنية بهذا المعنى في مذهبـــه الاجتماعى . الشيخ مصطفى عبد الرزاق ص ٢٨ .
(١٥٩) المرجع السابق ص ٥٣١)
ويضيف الشيخ مصطفى عبد الرزاق أنه نال شـــهادة العالمية من الدرجة الثانية بعد امتحان ظهر فيه أن الشيوخ ينقمون عليه نزعاتـــه الفكرية المتأثرة بمذهب أستاذه الافغانى . العروة الوثقى ص ٣٢ .

استحق الشيخ محمد عبده اسم « الاستاذ الامام » الذى اطلق عليه(١٦٠). ولا يقلل من قيمة الاستاذ الامام اضطراره الى قصر اصلاحه على الازهر والاوقاف الاسلامية والمحاكم الشرعية التى تولى الاشراف عليها في عهد الخديوى عباس حلمى الثانى ، حيث كان الاستاذ الامام يعتقد انه لتجنب الصدام مع الانجليز المسيطرين بقوات احتلالهم على مقدرات الامور في مصر فان اصلاح هذه النواحى يؤدى الى نهضة دينية واجتماعية تصلح بها نفوس الناس واذا صلحت نفوس الناس تمسكوا بحقهم في تحرير بلادهم من السيطرة الانجليزية .

ورغم أن الاستاذ الامام حرص على الاصلاح الدينى والاجتماعى والثقافى وتجنب الخوض في الاصلاح السياسى ، الا انه كان شديد الحرص على تحقيق برامجه الاصلاحية في هذه المجالات وقد انتج هذا الحرص حربا لا هوادة فيها من رجال الدين الجامدين الذين كان يحركهم الخديوى عباس حلمى الثانى . وقد اثرت هذه الحرب في مجهودات الاستاذ الامام تأثيرا كبيرا بل واثرت على حالته الصحية فعاجلته المنية عام ١٩٠٥ م .

ج ـ محمد رشيد رضا :

يعتبر السيد / محمد رشيد رضا حامل أفكار الافغانى ومحمد عبده

---

(١٦٠) Kedourie, E. Ibid, P. 1.
والسبب في تسميته بالاستاذ الامام أن دعوته الاصلاحية تقوم على امور ثلاثة هى :
١ ـ تحرير الفكر من قيد التقليد حتى لا يخضع لسلطان غير سلطان البرهان ، ولا يتحكم فيه زعماء الدنيا ولا زعماء الاديان .
٢ ـ اعتبار الدين صديقا للعلم لا موضع لتصادمهما اذ لكل منهما وظيفة يؤديها ، وهما حاجتان من حاجات البشر لا تغنى احداهما عن الاخرى .
٣ ـ فهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى .
كما كان الشيخ محمد عبده محبوبا معظما معترفا له بمقام الامامة الذى لا يساميه مقام بين الطوائف الراقية من المصريين وبين طوائف الاجانب في مصر . العروة الوثقى ص ٣٦ ـ ٣٧ .

الاصلاحية باعتباره تتلمذ عليها واتصل بالشيخ محمد عبده ولازمه حوالى سبع سنوات في مصر ، ورشيد رضا لبنانى المولد حيث ولد بقرية قرب طرابلس الشام تعلم فيها القرآن والخط وقواعد الحساب ثم دخل المدرسة الرشدية (١٦١) وهى مدرسة « ابتدائية » كان التعليم فيها باللغة التركية، ودخل عدة مدارس دينية واخذ بشيء من التصوف فبعد عن الوظائف الحكومية (١٦٢) .

وكان محمد رشيد رضا يتابع الحركة الاصلاحية التى يقودها الافغانى ومحمد عبده ويقرأ كل ما يصدر عنهما خاصة فيمجلة«العروة الوثقى»،والتقى بالامام محمد عبده في طرابلس الشام مرتين . ونحن عرفنا أن الاستاذ الامام كان منفيا في لبنان لفترة ما كما ذكرنا ، ثم رحل رشيد رضا الى مصر عام ١٨٩٨ م ولازم الاستاذ الامام واصدر مجلة « المنار » التى حلت من حيث رسالتها محل مجلة العروة الوثقى ، وبعد وفاة الاستاذ الامام استمر رشيد رضا في حمل الامانة وان كان قد داهن الساسة كما فعل عندما ايد الملك أحمد فؤاد في اتخاذ لقب خليفة بعد الغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال اتاتورك ، كما انه رغم أخذه بمذهب السلف الا انه كان يخالف بعض ائمة هذا المذهب انطلاقا من تأثره بالصوفية وقد ظلت مجلة المنار تنطق بالدعوة الاصلاحية حتى وفاة السيد رشيد رضا عام ١٩٣٥ .

ثالثا ـ فكرة الجامعة الاسلامية :

جاءت فكرة الجامعة الاسلامية حصيلة الظروف التى عاشها العالم الاسلامى وحصيلة تفاعل المصلحين ـ جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ـ مع تلك الظروف ومن ثم الوصول الى أفكار لمعالجة تلك الظروف ، ومن هنا يمكن القول ان جوهر هذه الفكرة يقوم على الاخذ بيد الشعوب الاسلامية ـ وليست الشعوب العربية فقط بل كل الشعوب الاسلامية والخاضعة للاستعمار الاوروبى في آسيا وافريقيا بصفة خاصة ـ لتحقيق الحرية اى التحرر

---

(١٦١) كان السلم التعليمى العثمانى يبدأ بما عرف بمكاتب المبتديان، ثم المكاتب ـ أى المدارس ـ الرشدية ومعناها المدارس التى يدخلها من رشد من الابناء اى الصبيان وهى توازى المدارس الاعدادية حاليا ثم المكاتب الاعدادية وهى توازى المدارس الثانوية حاليا ثم المكاتب العالية وهى توازى الكليات الجامعية حاليا .

(١٦٢) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٥٣٩ .

من استبداد الحكام وتحرر البلاد من السيطرة الاوروبية. وتحقيق التقدم اى ابعاد شبح الجمود الذى ران على افكار المسلمين لكى يصلوا الى ما وصلت اليه الشعوب الاوروبية في ميادين الحياة المختلفة . والاعتماد في ذلك على التعليم بمؤسساته التى تأخذ بأسباب العلم الحديث وتنفض عن نفسها الجمود في الفكر وفي الاسلوب ، واظهار مرونة الدين الاسلامى اى ان الاسلام دين كل زمان وكل مكان وأنه لا يتعارض مع التقدم العلمى الحديث بل يؤكده .

واذا كانت الفكرة تقوم اصلا على تحرر الشعوب الاسلامية لتجديد روحها المعنوية مستندة الى عزة الاسلام الاولى وتراثه التليد ، فان الفكرة اشارت الى ان ذلك يمكن تحقيقه بانضواء جميع هذه الشعوب تحت حكم خليفة واحد تتجمع في يديه السلطتين الدينية والسياسية ، وبذلك يعود للمسلمين ما كان لهم من قوة ومنعة زمن الخلفاء الراشدين والخلفاء الامويين فالعباسيين ، ولكن بشرط أن يبنى الخليفة الواحد حكما حديثا يأخذ بأسباب الحضارة الغربية المادية التى لا تتعارض مع الدين الاسلامى الحنيف (١٦٣) .

وصادفت فكرة الجامعة الاسلامية هوى في نفس السلطان عبدالحميد الثانى سلطان الدولة العثمانية الذى تقلد السلطنة عام ١٨٧٦ وراى ان السلاطين الذين سبقوه فقدوا مكانتهم الدينية نتيجة لتفكك العالم الاسلامى واستيلاء دول الاستعمار الاوروبى على مناطق تسكنها شعوب اسلامية منها مناطق كانت من ممتلكات الدولة العثمانية كمصر والسودان التى احتلتها القوات الانجليزية ، والجزائر وتونس التى صارت تحت النفوذ والسيطرة الفرنسيتين ، الى جانب سيطرة انجلترا على الهند وروسيا على وسط آسيا ، وهذه المناطق خرجت عن ان تكون خاضعة لسلطة الخليفة ، ومن ثم حاول عبد الحميد أن يجعل للسلطان سلطة مطلقة اكثر مما كانت متاحة للسلاطين السابقين ، تكون مؤيدة بفكرة الخلافة الاسلامية (١٦٤) .

---

(١٦٣) أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص .
ويحدد جمال الدين فكرته بقوله : لقد نظرت الى الشرق واهله فوجدت اقتل ادوائه انقسام اهله وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربى المحدق منهم ، العروة الوثقى ص ١٣ .

(١٦٤) Holt, P.M. : Op. Cit., P. 172.

ورغم أن فكرة الجامعة الاسلامية عند الافغانى ومحمد عبده لم تكن بالضرورة لتتحقق في ظل الخلافة العثمانية ، فان السلطان عبد الحميد استخدم الفكرة من أجل تقوية مركزه كسلطان للامبراطورية العثمانية يتمتع بمكانة خاصة في قلوب رعاياه المسلمين باعتباره خليفتهم وظل الله على الارض وحامى حمى الحرمين الشريفين ، فأحاط نفسه بالعلماء واستخدم الوعاظ للدعاية لشخصه كما أبعد عن مجالسه وقصوره كل ما لا يتفق مع تعاليم الاسلام ، واستخدم شريف مكة نفسه في الدعاية له ، خاصة وأنه أظهر الكرم في الانفاق على المؤسسات الاسلامية داخل ولايات الدولة وخارجها حيث اعتقد بتحسين مركز الامبراطورية العثمانية بين الشعوب الاسلامية الخاضعة للحكم الانجليزى والفرنسي والروسي ، فينال هو شخصيا رئاسة كل مسلمى العالم الاسلامى .

وكان يمكن لفكرة الجامعة الاسلامية أن تجد قبولا وصدى أوسع وتنتشر بين الشعوب الاسلامية لو لم يتسم حكم السلطان عبد الحميد بالاستبداد مما جعل المعارضة لمشروعاته تتسع لتشمل الى جانب الاتراك العرب والفرس والهنود ، بل وغير المسلمين من أهل الولايات العثمانية ، هذا الى جانب الدول الاوروبية التى أخذت تستغل أخطاء السلطان عبد الحميد في ضرب أفكاره ومنعها من التطبيق بأثارة العرب ضد الاتراك، وكشف ادعاءات عبد الحميد الاصلاحية بأظهار استبداده وكبته للحريات والغائه للاصلاحات الدستورية وابعاد الشخصيات المصلحة من على مسرح السياسة العثمانية بل والاسلامية .

الطرق الصوفية

يمكن ارجاع التصوف الاسلامى الى القرن الثالث الهجرى ، كما يمكن ملاحظة الاثر اليونانى والمسيحى في سلوك المتصوفين . وقد اختلف الفقهاء في معنى الصوفية فمن قائل انها كلمة يونانية الاصل ترجع الى كلمة Sophos . ومن قائل انها اطلقت على الزاهدين الذين كانوا يلبسون الصوف وهى تدل عندهم على شخص اختار ان يلبس ابسط انواع الثياب ويتجنب كل نوع من الرفاهية او العناية بالمظهر ويدللون على هذا الراى بأن الفرس يستعملون في مقابل هذه الكلمة لفظ « باسمينا ـ بوش » Pashmina Push (١٦٥) .

ومن قائل ان اصل الكلمة مشتق من الصفاء وبهذا يجعلون معناها قريبا الى معنى كلمة المتطهر Puritan التى شاع استعمالها في المسيحية ، ومن قائل انها تنسب الى صفة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة ، ومن قائل انها اطلقت في الاصل على من يجلسون في الصف الاول من المسلمين ، ومن قائل بانها ترجع الى تجنب صفو الدنيا ، ويدللون على ذلك بحديث شريف عن ابى حنيفة انه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا وبقى الكدر ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم (١٦٦) .

والراى عندى ان الكلمة ذات اصل يونانى خاصة واننا ندرك التأثيرات اليونانية على الحضارة العربية الاسلامية التى ازدهرت في القرن الثالث الهجرى وهو القرن الذى بدات تظهر فيه فكرة التصوف ، وعلى اية حال فالتصوف ظاهرة اسلامية تقوم طريقة المتصوفين فيها ـ كما يذكر الامام الغزالى ـ على العلم والعمل ، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يتوصل بها الى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله . وان اخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات (١٦٧) .

---

(١٦٥) ديلاسي أوليرى : الفكر العربى .. ص ١٩٠ .
(١٦٦) د . محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام .. ص ٢٧٨ .
(١٦٧) الغزالى : المنقذ من الضلال ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

ولا يمكن اعتبار التصوف بدعا يستنكر ، لانه انبثق ، كغيره من مناهج المعرفة في الاسلام ، من روح القرآن وجوهر رسالته ، وبدأ كما بدأت تلك المناهج مع الاسلام ، ثم نما وتطور ومشي مع خطو الحياة وسنة الله ، فأخذ المتصوفون يكونون لهم فلسفة في الاخلاق وفي السلوك وفي العبادة ، وأخذوا يجردون الاسباب من قوتها ويرجعون كل شيء الى الله سبحانه ، فاكسبهم ذلك عزة خلقية وسعادة روحية قوامها الرضا بقضاء الله وقدره ، واليقين بأن لا سلطان لقوة من قوى الارض على مصائرهم وحياتهم (١٦٨) .

واذا كان التصوف قد بدأ الظهور في المشرق الاسلامى ـ وبخاصة في بلاد فارس ـ فان الهجمة الصليبية على بلاد الشام ـ في أواخر القرن الخامس الهجرى الموافق للقرن الحادى عشر الميلادى ـ قد دفعت بالمسلمين الى التساؤل : كيف جرؤ أعداء المسلمين على قتل الانفس المسلمة واستباحة أعراضها وأموالها وممتلكاتها ، الا كونه غضب من الله على المسلمين لا يمكن رفعه الا بالرجوع الى الله وتنفيذ أوامره وتجنب ما نهى عنه .

ونتيجة لما حدث في الشرق الاسلامى اخذ تيار التصوف يشتد ويقوى في العالم الاسلامى مشرقه ومغربه ، على انه يبدو ان تيار التصوف اشتد في المغرب في ذلك الدور بصورة اقوى وأسرع مما كان عليه في المشرق ، وربما كان السبب في ذلك هو قرب المغرب العربى من مركز الهجوم الاوروبى على بلاد المسلمين ، مما جعل أهل المغرب أكثر احساسا بالخطر وبالتالى أكثر حماسه ورغبة في التوبة والاستعداد الروحى والمادى (١٦٩) ، وان اضطرهم هذا الخطر الذى لم يستطيعوا مدافعته ان يولوا وجوههم شطر المشرق العربى وبصفة خاصة في مصر وذلك منذ القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الرابع عشر الميلادى .

وقد يبدو من الصوفية أنها مذهب منظم لانه يشار الى « مراتب » الصوفية المختلفة ، وهى في الحقيقة تدل على مقامات متعاقبة في طريق التسامى الشخصي . ولقد كان من عادة المبتدىء السالك سبيل الله ان يضع نفسه تحت ارشاد قائد روحى ذى تجربة يعمل معلما له ويعرف بالشيخ او

---

(١٦٨) طه عبد الباقى سرور : الحلاج .. ص ٢٦ .
(١٦٩) د . سعيد عاشور : السيد أحمد البدوى ص ٣١ .

المرشد . وتتطلب هذه التلمذة طاعة عمياء مطلقة للمعلم . وقد نتج عن تجميع المريدين حول معلم معروف أن رأينا نشأة طوائف الدراويش ـ المتصوفين ـ في صورة جماعات من الناس يسعون كما يسعى غيرهم في طلب الرزق ولكنهم يجتمعون بين وقت واخر لبعض العبادات أو الارشادات الدينية . ويجتمعون احيانا بوصفهم جماعات دائمة تعيش في طاعة تامة تحت ارشاد شيخ(١٧٠) .

وتدور طريقة الصوفيين في السعى وراء الحقيقة للوصول اليها حول محاسبة النفس على الافعال والتروك وآداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من اساليب المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى من ذوق الى ذوق ، وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم . وهذه الاصطلاحات خاصة بمراتبهم بعضها معلوم وذائع على الالسنة وفي مجالسهم، وبعضها يعد من الاسرار المكتومة (١٧١) .

ويثور سؤال .. اذا كان هدف المتصوفين واحد وهو الوصول الى الله فلماذا لم يكن طريقهم واحد ، بمعنى لماذا تعددت الاساليب لتحقيق هذا الهدف ؟ لا شك ان الاجابة على هذا السؤال تتطلب فهما لامتداد العالم الاسلامى والمشكلات التى واجهته وصعوبة الاتصال بين الناس في ذلك الزمان ومن ثم صار لكل شيخ طريق أو طريقة كما يقول المثل العربى ، ومن ثم تعددت الطرق وتفرعت ، فبعد أن كانت الصوفية تنتسب الى اربعة من كبار الاولياء هم : عبد القادر الجيلانى واحمد الرفاعى واحمد البدوى وابراهيم الدسوقى (١٧٢) ، وعرفت طرائقهم بأسماء : القادرية والرفاعية والاحمدية والبرهامية ، انقسمت هذه الطرق الى طوائف فرعية ، فعلى سبيل المثال انقسمت الطريقة الاحمدية الخاصة باتباع السيد أحمد البدوى الى ست عشرة طريقة (١٧٣) .

ورغم هذا التعدد في الطرق فان التصوف معناه تجنب الرفاهية بدافع من الزهد واختيار البساطة في اللباس من جانب الذين يسمون بهذا

---

(١٧٠) ديلاسي أوليرى : المرجع السابق ص ٢٠٤ .
(١٧١) د. محمد لطفى جمعة : المرجع السابق ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .
(١٧٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية حـ ٣ ص ١٣٠ .
(١٧٣) د. سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١٨٩

الاسم (١٧٤) ، وان الصوفى له ثلاث صفات هى :

١ ـ التمسك بالفقر والافتقار .
٢ ـ التحقق بالبذل والايثار .
٣ ـ ترك التعرض والاختيار .

وقد اجمع العلماء الصوفية في تعريف الصوفى على انه رجل احب الله فآثره وكره الدنيا فزهد فيها (١٧٥) .

ولان الطرق الصوفيةقد عرفت بأسماء اصحابها فقد سمعنا عن رجال سجلهم التاريخ كأصحاب طرق صوفية مثل ـ الى جانب من ذكرنا ـ الشيخ احمد التيجانى صاحب الطريقة التيجانية وابو الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الشاذلية وتلميذه ابو العباس المرسي ، وابو القاسم القبارى وكلهم من المغرب وفدوا الى مصر ، هذا الى جانب اصحاب طرق أقل شهرة من امثال الشيخ عبد السلام الاسمر بمدينة « زليتن » في ليبيا، والشيخ الدوكالى بقرية «مسلاتة» بليبيا كذلكوغيرهم ممناتخذوا لانفسهم زوايا يجتمعون فيها مع مريديهم ويقرأون معهم الاوراد ويؤدون الاذكار .

وكانت تلك الطرق الصوفية تمثل نشوة دينية لجأ اليها المجتهدون من ابناء الاسلام تقربا الى الله واللجوء اليه في مواجهة الاخطار الاستعمارية التى حاقت بالاقطار الاسلامية خاصة في القرن التاسع عشر ، فهى اذن مظهر آخر لليقظة الاسلامية الى جانب المظاهر الاخرى السابق الاشارة اليها واعنى بها الدعوات السلفية الثلاث وفكرة الجامعة الاسلامية .

ومما هو جدير بالذكر ان اشهر الطرق الصوفية كان لها فضل في نشر الدين الاسلامى بين الافارقة الوثنيين ، فالطريقة القادرية مثلا التى ينسب الى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى المتوفى في بغداد عام ١١١٦ م وجد الزعيم الوطنى العراقى رشيد عالى الكيلانى ، انتشرت في المغرب العربى انتشارا كبيرا ، ومن هناك انتشرت في غرب افريقيا حتى سيراليون ومصب نهر النيجر ، وكانوا ينشرون الاسلام بين الافارقة بالاسلوب السلمى

---

(١٧٤) ديلاسى أوليرى : المرجع السابق ص ١٩٠ .
(١٧٥) د. محمد لطفى جمعة : المرجع السابق ص ٢٧٨ .

عن طريق التعليم والتجارة حيث يقوم اتباع الطريقة بفتح الكتاتيب لتعليم الاطفال الافارقة اوليات الدين الاسلامى والقراءة والكتابة باللغة العربية ثم يرسلونهم على نفقة زوايا الطريقة الى مدارس طرابلس والقيروان وجامع القرويين بفاس والجامع الازهر بمصر فيخرجون من هناك طلبة مجازين اى اساتذة ، ويعودون الى تلك البـــلاد لاجل مقـاومة التبشير المسـيحى في السودان (١٧٦) .

واما الطريقة الشاذلية والتى تنسب الى الحسن الشاذلى وتأسست في المغرب في النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادى . فقد كانت من اولى الطرق الاسلامية التى ادخلت التصوف الاسلامى في المغرب العربى ، واشتهر من شيوخها « سيدى العربى الدرقاوى » المتوفى عام ١٨٢٣م الذى كان يطلب من مريديه الطاعة العمياء لمشـــايخهم . وبسبب تفانى انصار الطريقة الشاذلية وخاصة الذين تأثروا بالشيخ الدرقاوى فقد اتصـفوا بالحماسة الدينية وروح التضحيةو الفداء والرغبة في الاستشهاد فلاعجب ان نجد اتباع هذه الطريقة يواجهون الغزو الفرنسي للمغرب الاوسـط ـ الجزائر ـ وفي غرب افريقيا مواجهة بطولية عنيدة .

وكانت الطريقة الثالثة التى ادت دورا في نشر الاســلام بين الافارقة هى الطريقة التيجانية التى تنتسب الى مؤسسها «احمد بن محمد التيجانى» المتوفى في مدينة فاس . عام ١٧٨٢ م . وقد صار للطريقة اتباع كثيرون في السودان والسنغال حتى المحيط الاطلنطى وكانوا من اشد انصار الاسلام والتفوا حول زعيم محلى للطريقة في السنغال يدعى الحاج عمر المولود في قرية على نهر السنغال عام ١٧٩٧ م وتعلم في زوايا الطريقة التيجانية وتعلم ايضا في الجامع الازهر بمصر ثم عاد الى وطنه عام ١٨٣٣ م . ومن هناك اخذ ينشر الاسلام بين الوثنيين من الافارقة تارة بالطريقة السلمية وتارة اخرى بالحرب، وعندما مات الحاج عمر عام ١٨٦٥ م اثناء احدى المعارك ضد احدى القبائل الوثنية بغرب افريقيا ترك للطريقة التيجانية سـلطنة اسلامية عظيمة في وسط بلاد السنغال واجهت الاستعمار الفرنسي اواخر القرن التاسـع عشر ، حتى اعتبر الفرنسيون وجود هذه السلطنة التيجانية في وسـط السودان خطرا عظيما على مشروعاتهم (١٧٧) .

---

(١٧٦) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى حـ ٢ ص ٣٩٦ .
(١٧٧) المرجع السابق .. ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

واما السنوسية التى يعدها البعض طريقة صوفية ، فقد ساهمت في نشر الاسلام في «واداى» و «الباجرمى» و «بورنو» ونواحى بحيرة تشاد ، وكانت طريقة السنوسيين في نشر الاســـلام بين الافارقة تقوم على شراء الارقاء صغارا من تجار الرقيق الذين يجلبونهم من السودان ويربونهم في زواياهم سواء بالجغبوب او غيرها ، فاذا بلغـوا اشـدهم واكملوا تحصيل العلم أعادوهم الى بلادهم فيهدون أهليهم(١٧٨) ، الى جانب الدعاة السنوسيين الذين انتشروا في غرب افريقيـــا بصفة خاصة ، بالاضافة الى مقـــاومة السنوسيين من زواياهم للغزو الفرنسي على غرب افريقيا .

---

(١٧٨) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ص ٥٠.

الفصـــل الرابـــع

الحركات التحررية والوحدوية

- جامعة الدول العربية .
- حركات التحرير في العالم الاسلامى .
  - اولا باكستان .
  - ثانيا اندونيسيا .
- الوحدة الاســلامية
- منظمة المؤتمر الاسلامى

جامعة الدول العربية

لم يكن التفكير في وحدة العرب وليد الظروف والاتجاهات التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن وليد الاتجاهات الانجليزية حيال السياسة الدولية وما ينتشر في العالم من احداث وافكار ومخاوف تدفع الدول الى التكتل والتآلف وجمع الحلفاء والاعوان وضمان النفوذ في المواقع الهامة في العالم . فقد سبقت هذه الاتجاهات الجديدة رغبة العرب انفسهم في التكتل والتجمع وتوحيد الجهود ، بل امتدت هذه الرغبة في يوم من الايام فكانت تهدف ـ كما رأينا ـ الى جمع الامم الاسلامية في نطاق واحد من الاتجاهات والتعاون والجهاد في سبيل النهوض والتحرر من خطر الاستعمار .

وبهذا ندرك خطأ الاعتقاد الذى ساد بأن فكرة الجامعة العربية كشكل من اشكال الاتحاد بين الاقطار العربية انما جاءت اول مرة على لسان المستر «انطونى ايدن» Antony Eden وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانى في تصريحه عام ١٩٤١ م ، وان العرب استندوا الى هذا التصريح ـ الذى كان بمثابة الضوء الاخضر البريطانى كما يذكر البعض ـ للتفكير في اقامة منظمة تجمع اقطارهم وتعمل على تحقيق مصالحهم المشتركة وتجعل منهم أمة تستعيد مجدها بعد ان فرقتها الاطماع الاستعمارية بعد الحرب العالمية الاولى .

وحقيقة الامر ان هذه الفكرة لم تكن جديدة على العرب حين ادلى المستر «انطونى ايدن» بتصريحه هذا (١) اذ ان العرب فكروا في جمع الشمل بعد الحرب العالمية الاولى تجاوزا للتجزئة التى فرضتها الدول الاوروبية الاستعمارية عليهم وبعد أن فشلت مشروعات الشريف حسين بن على زعيم الهاشميين في اقامة الدولة العربية الموحدة والتى تضم بلاد الشام باقسامها المعروفة حاليا ـ سوريا ولبنان وفلسطين والاردن ـ الى جانب كل من العراق والحجاز ، ومن ثم تتالت مشروعات الاتحاد في الساحة العربية انطلاقا من وجود شعور عام مشترك يشمل مختلف الاقطار العربية دون ان يكون هنالك من يقصد ذلك او يسعى اليه ، اوجدته حركة انتشار الصحافة والطباعة والنشر والاذاعة والتمثيل والشعر والآداب

---

(١) Fisher, S.N. : The Middle East. a history, P. 571.

وغيرها من الوسائل التى تساعد اتصال الافكار وتدانيها (٢) .

ورغم ان الاقطار العربية انشغلت كل على حدة تقريبا بحركة تحررها من النفوذ الاجنبى خاصة بعد الحرب العالمية الاولى مما اوضح الطابع الشخصي لشعوبها واظهر طابع الاقليمية واختلفت نظم الحكم في تلك الاقطار فكان منها الحكم الجمهورى ، والملكى الاوتوقراطى ، والملكى الدستورى ، كما لم تكن العلاقات السياسية بين حكومات هذه الاقطار على شيء من حسن الرابطة او تبادل التعاون من امثلة ذلك الخلاف بين السعودية واليمن من ناحية وبين السعودية والحكم الهاشمى في العراق والاردن من ناحية اخرى .

رغم كل ذلك فقد بقى في اعماق عواطف الشعوب العربية الوان من الحب الذى يربطها في وحدة من الجهاد والكفاح للتخلص من براثن النفوذ الاجنبى وتحركها عوامل الجنس واللغة والدين والارض المشتركة الممتدة من المحيط الاطلنطى الى الخليج العربى ، وكلها كانت تذكر العرب دائما بحقيقة الرابطة القومية التى تجمعهم وتدفع الكثيرين الى المناداة بالوحدة او تحقيق شكل ما من الاتحاد (٣) .

كانت فكرة الوحدة العربية اذن في ضمير العرب كمظهر اليقظة الاسلامية كدين والنهضة العربية كقومية ، ومن ثم تعددت مشروعات هذه الوحدة قبل ان تتهيأ الظروف لظهور جامعة الدول العربية . من بين تلك المشروعات « مشروع سوريا الكبرى » الذى تقدم به الامير عبد الله أمير شرقى الاردن في يوليو ١٩٤١ الى الحكومة البريطانية بهدف ضم امارته الى سوريا ويصبح هو زعيم الدولة الجديدة . بل وعلى حد قوله يستعيد عرش الهاشميين في دمشق الذى سقط عام ١٩٢٠ م . ولكن هذا المشروع لم يلق تأييد بريطانيا من ناحية ، ومن ناحية اخرى جرت الانتخابات في سوريا عام ١٩٤٣ حيث تسلم الوطنيون الحكم الذى اصبح جمهوريا ، ومن ثم سقط مشروع الامير عبد الله .

وكان المشروع الاتحادى الثانى في الساحة العربية هو مشروع الهلال الخصيب الذى تبناه نورى السعيد باشا رئيس وزراء العراق وقدمه في ديسمبر ١٩٤٢ م الى الحكومة البريطانية ايضا ، ويدعو هذا المشروع — الذى عرف بمشروع الهلال الخصيب — الى اقامة اتحاد فيدرالى بين كل

---

(٢) ساطع الحصرى : نشوء الفكرة القومية ص ٢٢٩ .
(٣) د. صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر ص ٦٨٦ .

من العراق وسوريا ولبنـان وامارة شرق الاردن وفلسطين ، مع اعطـاء اليهود المقيمين في فلسطين حكما ذاتيا (٤) . ولكن الحكومة البريطانية لم تؤيد كذلك هذا المشروع الذى لم يجد قبولا من جميع العرب ـ على حد قـول المستر ايدن ـ (٥) الى جانب عدم موافقة الاطراف العربية المعنية على فكرة الهلال الخصيب .

وقد يقع البعض في خطأ عند دراسة فكرة انشاء الجامعة العربية بأن الحكومة البريطانية هى صاحبة الاهتمام الاول بهذه الفكرة بدليل تقـديم حكام الاسرة الهاشمية في عمان وبغداد لمشروعاتهم الاتحادية الى الحكومة البريطانية ، وهذا في رأينا تشويه لتاريخ العرب الحديث والمعاصر ، اذ انه يصور بداية حركة الاتحاد وكأنها من صنع بريطانيا وليست استجابة لدوافع وطنية نابعة من داخل الشعب العربى (٦) ، بينما كان العرب يدركون ان سياسة بريطانيا « فرق تسد » Devide and Role ، ومن ثم فانه من الضرورى اقتراح الوسائل للوحدة العربية (٧) .

ومما تجب ملاحظته ان « مشروع سوريا الكبرى » و «مشروع الهلال الخصيب» مشروعات لا تحقق الامانى العربية حيث هدفت ـ هذه المشروعات ـ الى وحدة اقليمية ضيقة في منطقة من العالم العربى ولتحقيق مصـالح لحكام « عمان » و « بغداد » ولعلنا لانجافي الصواب اذا قلنا ان فشل هذين المشروعين يرجع في جانب منه على الاقل الى استبعاد مصر من الانضمام الى ايهما بمعنى ان مصر لم تدع للاشـتراك في اى من المشروعين ، وفي رأيى انه لو شاركت مصر في اى من المشروعين لما تحقق للحكام في « عمان » او في « بغداد » فرصة الزعامة في اى من الاتحادين .

وانطلاقا من هذا نرى ان فكرة انشاء جامعة الدول العربية كشكل من اشكال الاتحاد العربى ، ولدت في مصر وتقررت بين الاقطار العربية على ارض مصر ، ولهذا تهيأ لها البقاء والاستمرار منذ قيامها الى الآن ، وليس هذا بغريب على موقف مصر من العروبة ، اذ وقفت مصر باستمرار الى جانب الشعوب العربية في كفاحها لنيل اسـتقلالها حتى ومصر تناضل لأجـلاء

---

(٤) Lencrzswski, G. : The Middle East in World Affairs, P. 636.

(٥) Ibid.

(٦) د. صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦٩٥ .

(٧) Fisher, S.N. : Op. Cil., P. 571.

قوات الاحتلال البريطانى عن اراضيها ، وهذا لا ينفى ان كثيرا من المصريين اعتقدوا حتى اوائل الاربعينات من القرن العشرين بوجوب اعطاء الاولوية في اية جهود تشارك فيها مصر لتحقيق الوحدة العربية الى وحدة وادى النيل . وهى الوحدة القائمة على اسس جغرافية طبيعية ، والتى يظهر فيها عامل المصلحة بصورة اوضح (٨) .

توفرت العوامل اذن بعد الحرب العالمية الاولى لتصل في النهاية الى تحقيق الاتحاد العربى في صورة جامعة الدول العربية التى ظهرت للوجود بعدالحرب العالمية الثانية ، وقبل ان نناقش كيفية قيام جامعة الدول العربية علينا ان نعرف ظروف العالم العربى بعد الحرب العالمية الاولى وتطور هذه الظروف حتى الحرب العالمية الثانية .

عندما انتهت الحرب العالمية الاولى بانهاء الوجود التركى في الارض العربية تأثرت القومية العربية بعاملين احدهما قديم يستمد اصوله من افكار القوميين العرب ومن اتجاهات الثورة العربية التى قادها الشريف حسين في جانب الحلفاء مستغلة الى حد كبير آمال العرب القومية ، والعامل الثانى جديد تأثر بسياسة الحلفاء لتقسيم العالم العربى فيما بينهم ، وقيام انظمة مختلفة للحكم في الاقطار العربية بحدود سياسية تفصل بينها وتخضع لنفوذ استعمارى بشكل او بآخر ، فقامت في العراق دولة ملكية تحت حكم فيصل الاول بن الشريف حسين ، وفي شرق الاردن انشئت امارة جديدة يحكمها اخوه الامير عبد الله ، وقامت فرنسا بفصل سوريا ولبنان وانتهى الامر بهما الى اقامة نظام جمهورى في كل منهما .

اما في شبه الجزيرة العربية فقد استطاع « عبد العزيز آل سعود » ان يضم الى سلطنة نجد الحجاز وامارة عسير ويكون المملكة العربية السعودية الحديثة منذ عام ١٩٣٢ م ، واستقل الامام « يحيى حميد الدين » باليمن ، ومنحت مصر استقلالها على اساس تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م . وبقيت فلسطين تحت الانتداب البريطانى ، واعترف الحلفاء بقيام وطن قومى لليهود فيها . وظل السودان خاضعا للحكم الثنائى اسما الانجليزى فعلا ، واما اقطار المغرب العربى ـ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ـ فقد ظلت تكافح الاستعمار الايطالى والفرنسي والاسبانى .

---

(٨) د. انيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ص ٦٤ .

وشغلت كل هذه الاقطار بنفسها وباستقلالها عن الاستعمار الاوروبى استقلالا كاملا عن الوحدة العربية المنشودة ، كما كان للخلافات التى قامت بين آل سعود والهاشميين ، وما حدث بين اليمن والمملكة العربية السعودية من خلافات اثره في تعثر التفاهم بينها جميعا ، وكان للخلافات القديمة التى قواها الفرنسيون بين المسلمين والموارنة في الشام اثرها في تباين الجهود الوطنية واضطرا بها في دولتى المشرق سوريا ولبنان (٩) .

وتأثرت مصر في غمار جهادها الوطنى عن هذا المعترك الجديد ، وبرزت فيها نزعة وطنية صميمة تزعمها بعض الشباب ممن تلقوا ثقافتهم وتعليمهم في دول الغرب ، ترمى هذه النزعة الى احياء الفكرة المصرية الاصيلة متأثرين في هذا بما شاهدوه قبيل الحرب العالمية الاولى من قيام الدولة القومية وانتصارها في اوروبا ، ثم وقع حادث المحمل بين المصريين والسعوديين اثناء موسم الحج عام ١٩٢٧ م فأدى الى قطع العلاقات بين مصر والسعودية .

ولكن هذه التيارات العديدة على اختلافها لم تستطع أن تقضي على الشعور الاصيل بالوحدة العربية بين شعوب الاقطار العربية جميعا ، فكلها تتحدث اللغة العربية وتدين بالاسلام وتجرى في عروقها دماء عربية ويجمع بينها تقاليد متقاربة وتاريخ متوارث واحداث متشابهة في كفاحها للاستقلال والحرية ، فأخذت تسوى خلافاتها وبدأت محاولات عديدة في هذا السبيل، فتم اجتماع العاهلين العربيين عبد العزيز آل سعود وفيصل الاول بن الحسين على بارجة حربية في خليج البصرة في فبراير عام ١٩٣٠ م ، وفي ٧ أبريل من العام التالى ـ ١٩٣١ ـ أبرمت معاهدة صداقة بين المملكة العربية السعودية والعراق جاء في ديباجتها ما يلى : وبناء على رغبة جلالتهما في بذل ما يستطاع لجمع شمل الامة العربية وتوحيد كلمتها ...

وفي ١١ مايو ١٩٣١ م عقدت في صنعاء معاهدة صداقة بين العراق واليمن جاء في مقدمتها :

تمهيدا لتوحيد كلمة الامة العربية ... وفي عام ١٩٣٤ عقدت اتفاقية صداقة بين اليمن والمملكة العربية السعودية .. وتلى هذا ـ عام ١٩٣٧ م ـ أبرام حلف عربى يضم المملكة العربية السعودية واليمن والعراق تنضم اليه

---

(٩) د. حسين النجار : الشرق العربى بين حربين ص ٢٨ ـ ٢٩

الدول العربية المستقلة أو التى تستقل فيما بعد (١٠) ، وبدات شقة الخلاف بين الموارنة والمسلمين في سوريا ولبنان تضيق ليجمع بينهما الكفاح المشترك ضد الفرنسيين . وعقدت بين مصر والمملكة العربية السعودية معاهدة اخوة وصداقة عام ١٩٣٦ لانهاء فترة الجفاء التى اعقبت حادث المحمل قبل عشر سنوات تقريبا (١١) .

وكان الشعور المتبادل بمأساة فلسطين الظاهرة البارزة لتقارب الشعوب العربية ، فعقدت مؤتمرات عربية في القدس والقاهرة وبلودان بسوريا ، وانضم المتطوعون من كافة البلاد العربية لمساعدة المناضلين العرب في ثورتهم على الانتداب البريطانى والصهيونية في فلسطين عام ١٩٣٦ م ، وكان مؤتمر المائدة المستديرة الذى دعت اليه الحكومة البريطانية في لندن عام ١٩٣٩ م لعلاج مشكلة فلسطين اول اجتماع رسمى يجتمع فيه ممثلو الدول العربية، وقد لبى الدعوة الى المؤتمر حكومات مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وشرق الاردن واليمن . وحالت فرنسا دون اشتراك كل من سوريا ولبنان في المؤتمر (١٢) .

وجاءت الحرب العالمية الثانية فقوت أواصر التقارب العربى ، فقد الهبت الحرب عواطف العرب القومية وجمعهم الامل بقرب انهيار النفوذ الاستعمارى في بلادهم بهزيمة بريطانيا وفرنسا ، ولم يكن العطف على دول المحور ـ المانيا وايطاليا واليابان ـ الا من باب النقمة على دولتى انجلترا وفرنسا الاستعماريتين ، ووجدت حركات المقاومة نوعا من العطف الشعبى عليها ، وكانت الاعتداءات على الجنود البريطانيين في مصر تجد لونا من العطف الشعبى على كل من ينهض لمقاومة الاستعمار مهما كانت وسائل المقاومة ، كما وجدت حركة رشيد عالى الكيلانى في العراق بعض التأييد سواء في العراق أو في الاقطار العربية الاخرى ، وكانت هى بدورها ظاهرة طبيعية للتعبير عن الكراهية الكامنة لاحتلال بريطانيا ونفوذها في العراق .

ولقيت الحركة الاستقلالية التى قامت في سوريا ولبنان ضد الفرنسيين كل انواع العطف والتأييد الشعبى والحكومى في مصر والعراق وبقية الاقطار

---

(١٠) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦٨٧ .
(١١) وزارة الخارجية السعودية : المعاهدات ..
(١٢) د . حسين فوزى النجار : المرجع السابق ص ٢٩ .

العربية ، فقد ايقظ انهيار فرنسا امام الغزو المانى عام ١٩٤٠ آمال السوريين واللبنانيين بقرب تحقيق استقلالهم وانهيار الانتداب الفرنسى .

وتنبهت بريطانيا لخطورة العداء العربى للانجليز والفرنسيين فأرادت امتصاص هذا العداء بتصريحات المستر انطونى ايدن وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية خلال عامى ١٩٤١ و ١٩٤٣ م بتأييد بريطانيا لوحدة العرب بشرط أن تنبع من رغبة العرب انفسهم ، كما انه عندما دخلت القوات الانجليزية مع قوات فرنسا الحرة الى سوريا ولبنان في يوليو ١٩٤١ وطرد ممثلى حكومة فيشي من القطرين العربيين أعلنت انجلترا اعترافها باستقلال سوريا ولبنان واستجابت حكومة فرنسا الحرة لقرار حليفتها على أن يتم ذلك بعد انتهاء الحرب .

وخلاصة ما رأيناه من ظروف العالم العربى خلال الحربين العالميتين أن الاقطار الواقعة في شبه الجزيرة العربية والاقل تحضرا تمتعت بالاستقلال في الوقت الذى كانت فيه الاقطار المتطورة نسبيا مصر وسوريا ولبنان ترزح تحت نير النفوذ الاجنبى ، ولم يكن هناك مجال أمام المملكة العربية السعودية أو اليمن لتزعم الدعوة الى الوحدة العربية ، بينما تطلعت حكومة العراق في الثلاثينات من القرن العشرين الى تزعم هذه الدعوة ، الا أن مصر اخذت تجتذب الى السياسة العربية منذ أن اشتركت في مؤتمر المائدة المستديرة الخاص بفلسطين والذى عقد بلندن سنة ١٩٣٩ م (١٣) .

وعلى هذا فقد اخذت مصر زمام المبادرة في الدعوة لبحث تشكيل منظمة تحقق أمل العرب في الوحدة دون أن تطرح حكومة مصطفى النحاس شكلا معينا من أشكال الوحدة ، وجاءت هذه المبادرة في شكل توجيه دعوات من رئيس الحكومة المصرية الى رؤساء الحكومات العربية لزيارة القاهرة كل على حدة للبحث في خير السبل لتحقيق هدف العرب وذلك في صيف عام ١٩٤٣ .

ورغم تباين وجهات نظر حكومات الاقطار العربية بين متشكك في امكانية قيام اتحاد بين الدول العربية وبين مؤيد بحماس للوحدة العربية، وبين متحفظ بالنسبة للجوانب السياسية فقد انتهت المناقشات الى عقد

---

(١٣) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٦٨٨ .

اجتماع بمدينة الاسكندرية في ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ م حضره مندوبون عن كل من مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية والجمهورية السورية والجمهورية اللبنانية ومملكة العراق وامارة شرقى الاردن .

أقر اجتماع الاسكندرية ما عرف باسم « بروتوكول الاسكندرية » الذى تضمن مبادىء عامة للتعاون بين الدول العربية المجتمعة بالاسكندرية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية . ثم تكونت لجنة فرعية لصياغة ميثاق « لجامعة الدول العربية » وهو الشكل الذى انتهى اليه الرأى كصورة للوحدة العربية ، وصدر الميثاق في ٢٢ مارس ١٩٤٥ م في مدينة القاهرة التى صارت مقرا للجامعة العربية بكل مؤسساتها ، انطلاقا من سبق مصر في المجال الثقافى والحضارى وثقلها السكانى بالمقارنة مع الدول العربية الست الاخرى الاعضاء في الجامعة مجتمعين (١٤).

وبهذا الميثاق صارت جامعة الدول العربية منظمة اقليمية تحاول تحقيق المصلحة العربية بقدر ما تسمح لها سياسات الحكومات العربية ، وقد وقع على الميثاق كل من : فارس الخورى رئيس وزراء سوريا ، وسمير الرفاعى باشا رئيس وزراء شرقى الاردن . وارشد العمرى وزير خارجية العراق ، ويوسف ياسين نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية . وعبد الحميد كرامى رئيس وزراء لبنان . ومحمود فهمى النقراشي باشا رئيس وزراء مصر ، ومندوب عن اليمن .

وقد تضمن الميثاق ثلاثة ملاحق احدها خاص بفلسطين يقضي باختيار مندوب يشارك في أعمال مجلس الجامعة . والملحق الثانى خاص بالاقطار العربية التى لم تحصل بعد على استقلالها ويقضي بمراعاة المجلس لامانيها ويساعدها على تحقيقها . والملحق الثالث يقضي بتعيين عبد الرحمن عزام بك امينا عاما لجامعة الدول العربية لمدة سنتين . كما تضمن الميثاق تشكيل عدة منظمات أو هيئات تحقق الوحدة بين العرب خاصة في النواحى الثقافية والعسكرية والاقتصادية (١٥) .

---

(١٤) The American Assembly : The United States and The Middle East, P. 94.

(١٥) د. محمد كامل ليلة : المجتمع العربى والقومية العربية ص ١٥٦

وفي نطاق الجامعة العربية ظهرت خطوات وحدوية بعضها تحقق والبعض الاخر تعثر ، من بينها ميثاق الضمان الجماعى العربى للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى الذى عقد بين دول الجامعة السبع في ٢ رمضان ١٣٦٩ هـ الموافق ١٧ يونيو ١٩٥٠م وقعه كل من الدكتور ناظم القدسي بك رئيس وزراء سوريا ، ونورى السعيد رئيس وزراء العراق ، والشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ووزير الخارجية السعودية بالنيابة ، ورياض الصلح بك رئيس وزراء لبنان ، ومصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر ، والسيد على المؤيد مندوب اليمن الدائم في الجامعة العربية ، وعونى عبد الهادى مندوب عن المملكة الاردنية الهاشمية .

وجاءت الخطوة الوحدوية الاخرى في شكل المشروع المقدم من الدكتور ناظم القدسي رئيس مجلس وزراء سوريا الى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في يناير ١٩٥١ م بشأن اقامة اتحاد بين الدول العربية مستندا الى خطر الانقسام بين العرب في وجود مطامع استعمارية ووجود صهيونى في فلسطين وطرح ثلاثة اشكال للوحدة : الاول الدولة المتحدة العربية ، والشكل الثانى اتحاد الدول العربية فيدراليا ، والشكل الثالث اتحاد الدول العربية كونفيدراليا .

وجاءت خطوة وحدوية أخرى في يناير ١٩٥٤ م في شكل مشروع للاتحاد العربى مقدم من الدكتور محمد فاضل الجمالى رئيس وزراء العراق الى مجلس جامعة الدول العربية في دورته العشرين ، واشار المشروع الى صعوبة تحقيق الوحدة العربية الشاملة بين الاقطار العربية ، وأن البديل لذلك هو اقامة وحدة بين بعض الاقطار العربية الراغبة والمهيأة للدخول في وحدة ، على أن تقوم الوحدة في شكل توحيد للسياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية .

كما جاءت خطوة أخرى تؤكد الاتجاه الوحدوى العربى في شكل اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر وسوريا عقدت في ٤ ربيع الاول عام ١٣٧٥ هـ الموافق ٢٠ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٥٥ م ، كما عقدت اتفاقية مماثلة للدفاع المشترك بين مصر والمملكة العربية السعودية في ١١ ربيع الاول ١٣٧٥ هـ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥ م ، واتفاقية ثالثة مماثلة بين كل من حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة العربية السعودية

وحكومة المملكة المتوكلية اليمنية في ١١ رمضان ١٣٧٥ هـ الموافق ١١ ابريل ١٩٥٦ م (١٦) .

وجاءت خطوة وحدوية كبرى باعلان الوحـــدة الكاملة بين مصر وسوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ م ، تلك الوحدة التى تعد تطويرا عمليـــا لميثاق جامعة الدول العربية . ولولا التآمر من أعداء الوحدة في الداخـل والخارج لاستمرت هذه الوحدة مدة أطول بل ولانضم اليها أعضاء جـدد كما حدث عندما انضمت اليمن الى « الجمهورية العربية المتحدة » (وحدة مصر وسوريا) فيما عرف باسم « اتحاد الدول العربية » . واذا كان أعداء الوحدة قد نجحوا في انفصال سوريا عن مصر في سبتمبر ١٩٦١ م ، واذا كانت ثورة اليمن في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م قد جمدت اشـــتراك اليمن في « اتحاد الدول العربية » فان روح الوحدة استمرت .

ولعل خير دليل على ذلك هو توقيع ميثاق بين العراق وســـوريا ومصر في ١٧ أبريل ١٩٦٣ م لاقامة وحدة ثلاثية فيدرالية . ورغم أن هذه الوحدة لم يقدر لها التحقيق الا انها كانت خطوة وحدوية على الطـريق خاصة وأن العراق شارك في هذا الميثاق بعد أن قامت ثورته عام ١٩٥٨م انهت حكم الهاشميين الذين كانوا قد اقاموا اتحادا هاشميا بين حكـومتى العراق والاردن قبل قيام ثورة العراق بأربعة شهور . ومـع أن المشروع لو نفذ لكان حدثا تاريخيا بالنسبة للامة العربية الا أن الجماهير لم تكترث به لان الاشكال الدستورية لا تؤثر في الراى العام العربى الذى الف مبدأ الامر الواقـــع والنظام الشخصي في الحكم (١٧) .

وجرت محاولات وحدوية في المغرب العربى عقب حصول اقطـــاره على استقلالها قامت على أساس وحدة المغرب العربى الكبـــير ــ ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ــ ، وسارت هذه المحاولات شوطا لا بأس به في مجالات الاقتصاد والتعاون الثقافى حتى قامت ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا عام ١٩٦٩ م فتجمدت هذه المحاولات بسبب اتجـــاه ليبيا الى المشرق العربى بصفة عامة ومصر بصفة خاصة لتحقيق مشروعات وحدوية، الى جانب نفور الجزائر بصفة خاصة من الدخول في وحدة تحت الزعامة التونســـية .

---

(١٦) وزارة الخارجية السعودية : مجموعة المعاهدات .
(١٧) د . صلاح العقاد : المرجع السابق ص ٧٠٥ .

وجاء اعلان ميثاق طرابلس في ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩ م بين كل من جمهورية السودان الديمقراطية في ظل ثورة ٢٥ مايو ١٩٦٩ م بقيادة الرئيس جعفر محمد نميرى ، والجمهورية العربية الليبية في ظل ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ م بقيادة معمر القذافى ، والجمهورية العربية المتحدة بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر ، خطوة أخرى على طريق الوحدة العربية ، ثم انضمت الى الميثاق الجمهورية العربية السورية بعد حركة التصحيح التى قادها الرئيس حافظ الاسد في ١٥ نوفمبر عام ١٩٧٠ م . وقد حدد الميثاق أهدافه باتخاذ الخطوات العملية في مجالات الثقافة والاقتصاد والسياسة والجيش للوصول الى الوحدة الكاملة بين أعضاء الميثاق على أسس ثابتة ، فشكلت لجان في مختلف المجالات من أجل توحيدها لتكون أساسا للوحدة الدستورية بين الدول الاربع .

ثم أعلن « اتحاد الجمهوريات العربية » في ١٧ أبريل ١٩٧١ م بين جمهوريات : مصر العربية برئاسة محمد انور السادات ، والعربية الليبية برئاسة معمر القذافى ، والعربية السورية برئاسة حافظ الاسد على أن تنضم الى الاتحاد جمهورية السودان الديموقراطية متى تهيأت لها الظروف المناسبة ، وقد تشكل لهذا الاتحاد مجلس رئاسة من الرؤساء وصار الرئيس أنور السادات رئيسا للمجلس ، كما تشكل مجلس أمة اتحادى تراسه مواطن ليبى ، ومجلس وزراء اتحادى تراسه سورى .

وفي عام ١٩٧١ م أيضا أعلن عن تشكيل دولة الامارات العربية المتحدة من امارات الخليج العربى السبع : ابو ظبى ، دبى ، الشارقة ، رأس الخيمة ، أم القوين ، عجمان ، الفجيرة . وفي نفس العام أعلن استقلال كل من دولة قطر ودولة البحرين . وفي ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٩٢هـ الموافق ٢ أغسطس ١٩٧٢ م أعلن الرئيسان أنور السادات ومعمر القذافى قيام وحدة اندماجية بين جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية الليبية في بنغازى ونص الاعلان على أن تكون عاصمة دولة الوحدة في جمهورية مصر العربية ، وأن يكون لها مجلس رئاسة من الرئيسين حتى يتم انتخاب الرئيس بواسطة الشعب ، وأن تتشكل لجان في مختلف المجالات من أجل تحقيق الاندماج الكامل .

ومن المشروعات الوحدوية على الساحة العربية المحاولات التى بذلت لجمع الجمهورية العربية اليمنية مع جمهورية اليمن الديموقراطية في ودلة موحدة ، وتلك التى بذلتها ليبيا لاتمام وحدة مع تونس . ثم جاءت حرب

رمضان اكتـــوبر ١٩٧٣ م التى شاركت فيها جميع الدول والشـعوب العربية كل بقدر جهده وبحسب امكانياته . واذا كانت دمـــاء المصريين والسوريين والفلسطينيين بصفة خاصة . ودماء الجنود العرب المشاركين في الحرب بصفة عامة قد سالت بغزارة لتحقيق نصر على الصهيونية فان روح العرب بكامل امكانياتها ساهمت في المعركة حتى يمكن القول ان روح العروبة هى التى انتصرت فحققت بذلك اروع وحدة عربية شـــاملة غير معلنـــة .

وخاتمة القول ان جامعة الدول العربية التى خرجت الى الوجـود منذ عام ١٩٤٥ م رغم انها لم تكن الصورة المثلى لتحقيق الامانى العربيـة في الوحدة بين الاقطار العربية الا انها كانت صورة مشرقة على طـــريق الوحدة العربية خاصة اذا لاحظنا أن الجامعة التى بدات بسبعة اعضـــاء صارت تضم حاليا اثنتان وعشرين عضـــوا . واذا لاحظنا ظهور مؤسسات وحدوية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومنظمة الوحدة الاقتصادية ، والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعى ، وغيرها من المنظمـــات التى تشمل جميع الانشطة في الدول الاعضاء .

حركات التحرير فى العالم الاسلامى

شهد القرن التاسع عشر ذروة الهجمة الاستعمارية ضد الشعوب الافريقية والاسيوية وبها الكثير من المسلمين ، ومن ثم تسلح مسلمو بعض الاقطار التى خضعت للاستعمار الاوروبى بمبادىء الدين الاسلامى الحنيف ـ خاصة ما يحض منها على الجهاد ـ في مقاومة الوجود الاستعمارى على ارضهم ، ومن ثم شهدت هذه الارض حركات تحريرية رائدها الاسلام في ظل اليقظة الاسلامية العامة التى شهدها العالم في القرنين التاسع عشر والعشرين أو بالاحرى خلال قرنين من الزمان منذ منتصف القرن الثامن عشر الى منتصف القرن العشرين .

وفي اطار هذه الدراسة نسوق بعض الامثلة على حركات التحرير في العالم الاسلامى وماذا حققت من انجازات ومدى ما كان لها من ايجابيات أسهمت في حركة اليقظة الاسلامية .

أولا : باكستان :

يبدأ التأريخ للباكستان بدخول الاسلام الى شبه القارة الهندية على ايدى التجار العرب اذ كان للعرب علاقات تجارية مع الهنود ترجع الى سنوات طويلة قبل ظهور الاسلام ، ولكنهم حين وفدوا الى شبه القارة الهندية مسلمين في مطلع القرن العاشر الميلادى اقاموا على طول الساحل الغربى وتزاوجوا مع أهل البلاد حتى اذا جاءت الفتوح الاسلامية في عهد الامويين وجدت الطريق ممهدا لنشر العقيدة الاسلامية ، حتى اذا أخذ نفوذ العباسيين يتقلص عن الهند بضعف دولة الخلافة استقل بحكمها بعض الامراء ، وكان هذا النفوذ غالبا في غرب الهند ، أو ان شئنا التحديد ، قلنا في ارض السند وهى المنطقة التى تكون باكستان الغربية اليوم (١٨) .

ومما تجب ملاحظته أن المسلمين منذ أن دخلوا السند وانحدروا منها الى بقية شبه القارة الهندية لم يتخلوا عن هذه البلاد قط ، كما أن الفاتحين الذين جاءوا قاصدين الهند وفدوا بطريق السند ـ باكستان الحالية ـ من الشرق أو من الغرب ثم انحدروا الى الهند (١٩) . وكان أول فتح اسلامى

---

(١٨) عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ١٩ .
(١٩) د . احسان حقى : باكستان ماضيها وحاضرها ص ٤١ .

كبير للهند هو ذلك الفتح الذى قاده محمود الغزنى أمير الافغان عام ١٠٠١ م حيث اتخذ من البنجاب مركزا انطلق منه الفاتحون الاسلاميون بعده لفتح بقية أجزاء شبه القارة الهندية بل ولنشر الاسلام الذى وجد قبولا كبيرا لدى اهل الطبقات الدنيا والفقيرة من الهنود الذين دخلوا الاسلام افواجا وتمتعوا بما ينادى به الاسلام من اخوة حتى كانوا بعد ذلك يرتقون الى مستوى الفاتحين (٢٠) .

ومنذ ان وفد الاسلام الى الهند والمسلمون لهم القوة والجاه والسيادة في شبه القارة الهندية . فكانت الدولة الاسلامية التى اسسها قطب الدين محمد الغورى عام ٥٨٩ هـ الموافق ١١٩٣ م ، على انقاض الدولة الغزنوية، أقوى دولها . فقد وسعت كل شمال الهند من مرتفعات « فنديا » جنوبا الى جبال « الهملايا » شمالا ، ثم تلتها اسرات اسلامية قوية حكمتها خلال القرون الخمسة التالية متخذة من دهلى مركزا وعاصمة للدولة الاسلامية، وان لم تحاول التوسع جنوبا أو تجعل من الهند كلها دولة اسلامية موحدة .

حتى اذا كان عام ٩٣٢ هـ الموافق ١٥٢٦ م حكمت الهند الدولة « التيمورية » أو الدولة المغولية التى كان عهدها أزهى عصور الحكم الاسلامى في شبه القارة الهندية ، وبلغت من القوة والاتساع حدا لم تشهده دولة اسلامية سابقة في الهند ، وشهدت البلاد في عهدها حضارة من ازهى الحضارات الاسلامية (٢١) .

وكان دخول الاسلام الى البنغال الشرقية ـ جمهورية بنجلاديش الاسلامية حاليا ـ اعظم دليل على قوة الاسلام ومبادئه التى جذبت اليها كثيرا من الهندوس فأقبلوا على اعتناق الدين الاسلامى أفواجا . ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى غزت هذه البلاد اسرة هندوكية متعصبة نزلت عليها من الجنوب وفرضت نظام الطبقات الهندوكى في صرامة وشدة وتعصب ، فلما جاء المسلمون وغلبوا هذه الاسرة الحاكمة ودعوا للدين الاسلامى استهوت دعوتهم المغلوبين على أمرهم ورأوا في الدين الجديد مساواة لم يروها في الديانة الهندوكية فأقبلوا على اعتناقه وتحولوا من الهندوكية الى الاسلام ، وكان للدعاة والتجار المسلمين الذين انحدروا الى تلك المناطق الموسمية

---

(٢٠) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى جـ ٤ ص ١٨٠ .
(٢١) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢٠

الفنية الفضل الاول في نشر الدين الاسلامى في ارجائها الواسعة ، وكـــان انتشار الاسلام في هذه المناطق وفي اندونيسيا والملايو والصين على أيديهم .

ولكن منذ القرن السادس عشر أخذت الدولة الاسلامية في الهنـــد تضعف وتتفكك رقعتها الواسعة باعلان بعض الامراء استقلال المناطق التى يحكمونها ، وشعر البراهمة بأنهم مهددون بالخراب والاندثار فشرعوا يبشرون بدعوة لليقظة الهندية فآل الامر الى تضعضع سلطان السلالة المغولية (٢٢) . وجمع بعض أمراء الهندوس والسيخ الجيوش وشنوا حروبا على الدولة الاسلامية واقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها ، والملـــوك المسلمون في دهلى يضعفون شيئا فشيئا ، وينحسر نفوذهم وينكمش ، حتى لم يعد لهم سلطان ولا نفوذ (٢٣) حتى اذا كان أوائل القـــرن الثامن عشر انقرضت المملكة المغوليـــة (٢٤) .

جاء تفتت الدولة الاسلامية في شبه القارة الهندية مهيئا للاطمـــاع الاستعمارية الاوروبية لكى تحقق أهدافها ، فالى جانب البرتغال ظهـــرت شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الفرنسية وشركة الهند الشرقية البريطانية متصارعة جميعا لبسط نفـــوذها على ممتلكات الدولة الاسلامية في الهند ، وانتهى الصراع بفوز شركة الهند الشرقيـــة البريطانية بالغنيمة .

ولقد تركت الدولة الاسلامية في شبه القارة الهندية آثارا آية في الروعة والعظمة منها على سبيل المثال لا الحصر مقبرة السلطان «جهان كير» وهى تقع في بستان كبير يقع على بعد بضعة كيلو مترات من مدينة لاهور ، وكتب على المقبرة : نور الدين محمد جهان كير بادشاه ١٠٣٧ هـ ، وقبـــر زوجته « نور جهان » المشابه لمقبرتهوالتى تبعد عنها بحوالى كيلو متـــر واحد (٢٥) . كما كان من الاثار الاسلامية كذلك قبر « تاج محل » الذى بناه السلطان « جهان شاده » سنة ١٦٣٠ م لزوجته المحظية التى كان قد ملك هواها قلبه وتدعى « الاميرة ممتاز محل » في « آجرا » التى تقـــع الان في

---

(٢٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٠ .
(٢٣) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١ .
(٢٤) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٠ .
(٢٥) د . احسان حقى : المرجع السابق ص ٩٠ ـ ٩١ .

جمهورية الهند . وكانت الاميرة « ممتاز محل » قد ماتت وهى نفساء في مقتبل العمر فناشدت السلطان ان يخلد اسمها في بناء عظيم الشأن فبنى لها ذلك المدفن النادر المسمى بالتاج (٢٦) .

اخذت شركة الهند الشرقية البريطانية تخطط للانفراد بالنفوذ الاعلى في شبه القارة الهندية دون معارضة الدولة الاسلامية بالهند . فعمدت الى الايقاع بين الامراء المسلمين باعانة البعض بالمال والرجال ضد البعض الاخر . وما كاد ينتصف القرن الثامن عشر حتى امسكت الشركة بدخل الولايات الاسلامية وغير الاسلامية في شبه القارة الهندية ، وقد اساء هذا الوضع امراء الدولة الاسلامية فتعددت مواقفهم الحازمة ضد مؤامرات الشركة البريطانية ، كان من بين هذه المواقف موقف الامير « سراج الدولة » في البنغال عام ١١٧٠ هـ الموافق ١٧٥٧ م وموقف الامير « حيدر » في الجنوب في عام ١١٩٥ هـ الموافق ١٧٨١ م وموقف ابنه « السلطان تيبو » ، الا ان هذه المواقف لقيت الفشل بسبب خيانة بعض القواد وضعف نفوس بعض امراء الولايات الذين استمالهم الانجليز (٢٧).

وكان المسلمون اصحاب السيادة في الهند حتى بدات جولة الاستعمار الاوروبى ودخلت الهند تحت النفوذ البريطانى فعملوا على اضعاف المسلمين وكسر شوكتهم حتى يلين لهم الامر في المستعمرة الغنية الواسعة، ورغم ان شركة الهند الشرقية البريطانية بدات نشاطها في الهند بالسعى الى جنى الارباح وكسب الاموال ، الا انها سرعان ما تحولت الى حكومة ذات سياسة طموحة ترمى الى الفتح والامتلاك . فكان من شأن هذا التحول ان ايقظ الكثير من اهل الهند الى حقيقة السياسة البريطانية الاستغلالية مما كان السبب في انفجار بركان الثورة عام ١٨٥٧ م (٢٨) .

تزعم الثورة ضد الانجليز المسلمون وبعض الهندوس الذين نكبهم الانجليز ، وبسبب تأخر الثورة وسياسة الانجليز فرق تسد فقد فشلت

---

(٢٦) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٢١ . ويمكن الاستزادة من معلومات حول تاج محل من كتاب دكتور احسان حقى ، الى جانب ستودارد .

(٢٧) د . عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨١ .

الثورة ، وتحمل المسلمون وحدهم نتائج فشلها ، ونتج عن هذه الثورة اصدار قرار من الحكومة البريطانية بألغاء حكومة شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند عام ١٨٥٩ م وجعلت الهند تابعة مباشرة للتاج البريطانى، ونودى بعد ذلك بالملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا امبراطورة على الهند كذلك، ونجم عن كل ذلك تقوية السلطة السياسية البريطانية في الهند وزيادة تغلغل النفوذ الاوروبى الذى اندس في كل نواحى الحياة كالتعليم والمواصلات وغيرها من الجوانب التى كانت وسائل لانتشار نظم الحياة والآراء الاوروبية .

وبعد اخماد الثورة اصبح الهدوء يعم كل ارجاء الهند وانزوى المسلمون بعيدا عن التعاون مع الحكم الجديد، وآثروا أن يبتعدوا عن المدارس المدنية التى انشأها الانجليز بالهند ، وكانوا يريدون منها تخريج طائفة من الموظفين تعرف الانجليزية وتلم ببعض العلوم الحديثة لتساعدهم في مقاصدهم الاستعمارية بالهند ، وكان المسلمون حكام البلاد قبل الانجليز فأبوا ان يستخدمهم الانجليز في هذه المقاصد ، وآثروا ان يقتصروا على التعليم في مدارسهم الدينية وان يبتعدوا عن هذه الوظائف ، وقد زاد هذا في تأخرهم وفقرهم ، وفي ظهور طائفة الهندوس عليهم لانهم لم يأبوا الالتحاق بالمدارس التى انشأها الانجليز ، ولم يأبوا الالتحاق بتلك الوظائف (٢٩) . وهكذا بقى المسلمون في عزلتهم بينما اقبل الهندوس على المدارس التى افتتحها الانجليز في الهند ، واصبحوا وقد آل اليهم كثير من امور البلاد مما لا يليه الانجليز ، وتسلم المسئولون البريطانيون البلاد التى كانت تسرى فيها الثقافة والحضارة الاسلامية ليطبعها بطابعه ، ويقضي على كل اثر فيها للحكم الاسلامى السابق ليفتح الطريق لثقافته ونفوذه (٣٠) .

وفي هذه الحال من التأخر والانحطاط اللذين نزلا بالمسلمين في الهند كما نزل بغيرهم من المسلمين في بلاد الاسلام الاخرى ، قام السيد « احمد خان » يدعو المسلمين الى حياة جديدة وتفكير جديد ورسم لهم السبيل وخط لهم النهج الذى يسلكون ، وكان طريق العلم والمعرفة ، ووضع اساس جامعة « عليكرة » ، واصدر عددا من الصحف تدعو لفكرته فيها ، وعمل طوال حياته على جمع شتات المسلمين وتوحيد صفوفهم وبعث الايمان العميق بحضارتهم وقوتهم كما كان اجدادهم الاوائل . ووضع رسالة باللغة الاوردية الهندية اشاد فيها بثورة عام ١٨٥٧ م واثبت انها

---

(٢٩) عبد المتعال الصعيدى : مرجع سبق ذكره ص ٤٨٣ .
(٣٠) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢٣ .

ثورة شعبية قامت بسبب المظالم التى تقع من الانجليز في الهند الى ما يرونه من سعيهم في تغيير عقائدهم ، ومساعدتهم المبشرين المسيحيين فيما يأتونه من الطعن في هذه العقائد (٣١) .

وفي ظل الضعف الذى الم بالمسلمين بدا الهندوس يشنون حملاتهم على المسلمين ، ودفع الانجليز المرابين الهندوس الى انتزاع املاك المسلمين، وتولى الوظائف الكبيرة في الدولة ووضع العراقيل المادية في سبيل الذين يحترفون التجارة من المسلمين ، ونفخ الاستعمار في لهيب الخلاف بين الطائفتين ، وازدادت شدة الخلافات بينهما حتى آمن السيد « احمد خان » بأن الهندوس والمسلمين لن يجمع بينهما وئام . ولن تكون الفة بين الفريقين ، وان الاقلية الاسلامية ستضيع في ذلك المحيط الهندسي الزاخر .

وجاء توجيه الانجليز للهندوس عام ١٨٨٥ بتأسيس حزب هو حزب المؤتمر الذى لم ينشأ نتيجة قوة وطنية كتلك التى رأيناها في مصر عند انتهاء الحرب العالمية الاولى وتأسيس حزب الوفد المصرى وغيره . ولم يدفع الى تأليفه رغبة في استقلال ولو ذاتيا ، ولكنه كان من تأليف واخراج الحكام الانجليز انفسهم ، ومن ثم صار الحزب في سنواته الاولى يعلن الولاء التام للحكومة البريطانية (٣٢) .

وبتأليف حزب المؤتمر ادرك السيد « احمد خان »المؤامرة الانجليزية الهندوسية على المسلمين فحذر المسلمين من عواقبها وطلب اليهم عدم التعاون مع حزب المؤتمر . وانصاع المسلمون الى اقوال السيد احمد خان وابتعدوا عن حزب المؤتمر ، ولكن الحكومة البريطانية استمرت في تدعيم الحزب وطلبت الى القائمين عليه ان يستمروا في اعمالهم (٣٣) .

وحرص الانجليز على ان يضموا الى حزب المؤتمر ممثلين للمسلمين حتى يأخذ الصبغة العامة للبلاد وسكانها ، وان كان هذا قد لقى معارضة شديدة من جانب من المسلمين، في الوقت الذى لقى فيه تأييدا من جانب آخر منهم ، وكان رئيس الجلسة الاولى التى عقدت في « بومباى » السيد

---

(٣١) عبد المتعال الصعيدى : المرجع السابق ص ٤٨٤ .
(٣٢) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٥٣ .
(٣٣) احسان حقى : مرجع سبق ذكره ص ١٦٠ .

«رحمة الله» أحد التجار المسلمين المعروفين في بومباى مع السيد «بونارجى» الهندوسي (٣٤) . وبتدعيم من السلطات الانجليزية اتخذ الهندوس موقفا عدائيا من المسلمين مما جعل السيد/احمد خان يدرك ان الحضارة الاسلامية والحضارة الهندوسية حضارتان متنافرتان ، هذا فضلا عن اختلاف اللغة والتقاليد ، فرفض ان يشترك المسلمون في اى تمثيل نيابى للهند ، وقال في ذلك : في بلد كالهند تتقسمه الطبقات وتنوشه النزعات الدينية المتفرقة الحادة وليس فيه من اسباب التربية والادراك الصحيح ما يدفع الناس الى الايمان بالمساواة والعدالة في الحقوق والواجبات ، ارى بل أومن ان الانتخاب والتمثيل النيابى ضار اكثر منه نافع (٣٥) .

وانطلاقا من هذه الدعوة فقد دعا المسلمين الى عقد مؤتمر يضم ممثلى المسلمين في كافة الاقاليم الهندية المختلفة ، فوضع بذلك الاساس الذى قامت عليه الرابطة الاسلامية التى قادت الحركة الاستقلالية لدولة باكستان، كما دعا المسلمين الى نبذ جمود العلماء والعمل على تكوين جيل جديد في الهند يجمع بين الثقافتين الاسلامية والاوروبية ، والنهوض بكل نواحى حياة المسلمين في الهند في دينهم ودنياتهم . وتوفى عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م بعد ان وضع في الهند اول بذرة في الاصلاح الحديث (٣٦) ، ولا يقلل من جهوده اتهامه بمسالمة الانجليز ، او قيامه بتفسير القرآن الكريم تفسيرا غير مألوف عند علماء المسلمين في عصره .

وفي عام ١٩٠٥ م أعلن نائب امك في حكم الهند اللورد « كيرزن » أن بلاد البنغال كبيرة جدا على حاكم واحد فقسمها الى ولايتين ، وقد استنكر الهندوس هذا التقسيم الذى اعطى المسلمين الولاية التى اكثريتها مسلمة ، وان هذا العمل يضعف روح الوطنية الهندية لا سيما وان البنغال هى اقوى مركز لحزب المؤتمر ، كما ان هذا العمل يجعل المسلمين والطبقات الدنيا تشارك الهندوس في وظائف الدولة (٣٧) .

وفي مقابل ثورة الهندوس فرح المسلمون بقرار التقسيم للبنغال

---

(٣٤) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٥٣ ـ ٥٤ .
(٣٥) عباس محمود العقاد : محمد على جناح ص ٤٥ . دار الهلال .
(٣٦) عبد المتعال الصعيدى : مرجع سبق ذكره ص ٤٨٥ .
(٣٧) احسان حقى : المرجع السابق ص ١٦٥ .

واسسوا عام ١٩٠٦ م حزب الرابطة الاسلامية الذى نادى بكفالة حقوق المسلمين وحماية حقوقهم السياسية والادارية ومن ثم كان قيامه البداية الحقيقية للحركة القومية التى سار فيها مسلمو الهند وجاء تأسيس هذا الحزب في اجتماع عقده ممثلو المسلمين في مدينة « داكا » في ذلك العام ـ ١٩٠٦ م ـ وانتخب « اغاخان » اول رئيس له • وظل كذلك حتى عام ١٩١٢ م (٣٨) . انطلاقا من ان « اغاخان » تراس وفد المسلمين الذى قابل نائب الملك وقدم له عرائض بمطالب الهند الداعية الى اجراء انتخابات على الطريقة الطائفية بحيث يكون للمسلمين حق انتخاب ممثليهم المسلمين ولا يشتركون في الانتخاب العام .

وكانت حكومة الهند قد لجأت الى تقسيم البنغال ارضاء للمسلمين ومنعا للاحتكاك بينهم وبين الهندوس الا ان غضب الهندوس لهذا القرار لم يجاوزه حد فثارت ثائرتهم ، هذا مع العلم بأن حكومة الهند استندت في اصدار هذا القرار الى ان المسلمين مازالوا حتى ذلك الوقت يملكون من الارض في شبه القارة الهندية اكثر مما يملك الهندوس وان عددهم في الجيش اوفر من عدد الهندوس (٣٩) . ومع ذلك بدات المعارك الطائفية على اشدها بين الفريقين حتى دفعت المعتدلين من المسلمين الى التخلى عن عزلتهم والنزول الى ميدان المعركة . فأخذوا يطالبون بتمثيل المسلمين في ادارة البلاد كطائفة لها كيانها وذاتيتها الخاصة .

وقد ساعد على حدوث المعارك الطائفية في الهند روح الحقد والكراهية للمسلمين التى نفخها في الهندوس زعيم منهم يدعى « بال كنادهار تيلاك » الذى دعى بأبى الاضطراب الهندى وكان تيلاك هذا وهو برهمى كان روح الحركة وعرقها النابض ولسانها الناطق نال حظا وافرا من التهذيب والعلوم الغربية ، وكان عدوا شديدا للحكم البريطانى والحضارة الاوروبية ، وداعيا عظيما يتسلط على القلوب فتنقاد اليه ، وكانت صحيفته المسماة « ياكنتار » في « كلكتا » تحمل الشعب على الهياج والاغتيال والثورة (٤٠) .

ونتيجة لضغط الهندوس تراجعت الحكومة الانجليزية عن قرار تقسيم

---

(٣٨) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٧٣ .
(٣٩) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٦٦ .
(٤٠) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٨٧ .

البنغال ، واعلنت في يناير ١٩١١ م توحيد البنغال تحت ادارة موظف كبير برتبة حاكم ، وايجاد ولاية باسم «بهارواريسة» يديرها موظف برتبة نائب حاكم ، واعادة فصل اسام عن البنغال تحت امرة موظف برتبة محافظ ، ونقل العاصمة من «كلكتا» الى « دهلى » (٤١) فاهتزت افئدة المسلمين هلعا لهذا القرار ، ورأى حزب الرابطة الاسلامية ان يطالب بحكومة ذاتية للهند .

وشهدت السنوات التالية من سنى الحرب العالمية الاولى تعاونا بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الاسلامية في الهند لوضع قواعد الحكم الذاتى ، وكانت العلامة الكبرى من علامات سمو النهضة الهندية هو جنوح جانب من الرأى الاسلامى العام الى الاخذ بنصرة الحركة الوطنية ، ولكن دون الاشتراك في ايقاد الفتن والعبث بالامن ، وكان ذلك الانضمام منهم من بعد ما قطع لهم معتدلة الهندوس الوعود والعهود واكدوا لهم وقوفهم الى جانبهم موقف الصديق الصفى (٤٢) .

ونتيجة للتعاون بين المسلمين والهندوس في اطار حركة وطنية هندية واحدة اثناء سنوات الحرب العالمية الاولى ظهور ما عرف باسم « ميثاق لنكاو » (٤٣) عام ١٩١٦ م الذى حدد اهداف الحركة الاستقلالية في الهند واعترف للمسلمين بحق التمثيل الطائفى في الانتخابات النيابية ، فحلت بذلك مشكلة من أعقد المشكلات التى واجهت تعاون الهندوس والمسلمين ، غير ان الاشتباكات الطائفية تجددت في العام التالى فعكرت الصفاء الذى ساد علاقات الفريقين) مؤتمر « لنكاو » وبدا ان قيام اتحاد بين المسلمين والهندوس ضرب من المستحيل .

وفي الوقت الذى كان فيه المسلمون يخلصون لتحالفهم مع الهندوس ويعادون بذلك الحكومة الانجليزية ، كان الهندوس يتقربون من الانجليز سرا ويوالونهم ويحرضونهم على المسلمين فصار المسلمون بعد ان كانوا امام عدو واحد هو الهندوس امام عدوين هم الهندوس والانجليز ، (٤٤) . ونتج عن ذلك اضطهاد لزعماء المسلمين من جانب الحكومة البريطانية ونفى

---

(٤١) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٦٩ .
(٤٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٩١ .
(٤٣) لنكاو اسم بلدة تقع في البنجاب عقد فيها المؤتمر .
(٤٤) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٧٠ .

لاهم الزعامات الاسلامية امثال « مولانا محمود الحسن » الذى لقب « بشيخ الهند » والذى خرجت البلاد كلها لاستقباله حين عودته من منفاه عام ١٩٢٠ م ـ وكان غاندى الزعيم الهندوسي ممن خرج لاستقباله ـ وهو في مستهل حياته السياسية ، والذى عاد من منفاه ليعلن حركة المقاطعة ضد الانجليز ويدعو لترك مدارسهم وترك جامعة «عليكرة» التى اصبحت وكرا لهم ، وانشاء جامعة اسلامية جديدة ، كانت هى «الجامعة الملية الاسلامية» العظيمة الشأن الآن في نيودلهى ، ويدعو كذلك لرد الالقاب اليهم وترك التعامل معهم عملا بالمبدأ الاسلامى الذى اعلنته هذه الآية الكريمة : يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء (٤٥) .

وبنهاية الحرب العالمية الاولى حاولت انجلترا اعطاء الهند حكما ذاتيا « Home Rule » يقوم على تقسيم السلطة في الهند بين مستشارين تعينهم السلطة التنفيذية البريطانية ، وبين وزراء تنتخبهم الهيئات الانتخابية التشريعية ، وعلى هذا الشكل والنظام تتكون الحكومة المركزية في العاصمة وحكومات الاقاليم ، اما الهيئة التشريعية فينتخب اعضاؤها انتخابا على نطاق اوسع مما كان سابقا ، وتصبح لها سلطات اكثر من صفتها الاستشارية وأن ظلت الشئون المالية غير خاضعة لهذه الهيئة التشريعية ، وان هذا النظام وسيلة يتم بها انتقال السلطة من الحكومة البريطانية الى الحكومة الوطنية (٤٦) .

ومنذ ان اعلن عن هذا المشروع البريطانى للحكم الذاتى في يوليو ١٩١٨ م ، اخذت الاعتراضات والمظاهرات بل والثورات تتوالى على الهند استنكارا وخاصة الاحزاب الاسلامية والطوائف الهندوسية الدنيا التى خشيت من ان تضيع حقوقهم في ظل السيطرة الهندوسية المتطرفة ، ورغبة منها في حمل الحكومة البريطانية على توسيع نطاق الحكم الذاتى ، ومع ذلك اقر البرلمان البريطانى المشروع في ربيع عام ١٩١٩ م ـ مما نتج عنه مصادمات دامية بين الجنود الانجليز والثوار الهنود ، وعندما غلبت القوة البريطانية لجأ الهنود الى ما عرف بسياسة « اللاتعاون » او « العصيان المدنى » او « المقاومة السلبية » ، والتى نسبت الى الزعيم

---

(٤٥) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٤٦) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ١٩٣ .

الهندى غاندى لتحرير البلاد من سيطرة الإستعمار منذ عام ١٩٢١ م حتى استقلت الهند سنة ١٩٤٧ م . والذى يعتبر بحق باعث حركة « اللاعنف » او ضبط النفس وعدم استعمال القوة في الحصول على الحق (٤٧) .

وفي مؤتمر المائدة المستديرة الذى عقد بلندن في نوفمبر ١٩٣٠ م طالب المسلمون بوجوب النص في الدستور على كفالة حقوقهم ، الا ان غاندى ورفاقه من اعضاء حزب المؤتمر تمسكوا بمبدأ استقلال الهند على اساس الوحدة ورفضوا منح المسلمين اية ضمانات من نوع معين ، وبينما كانت اجتماعات المائدة المستديرة تعقد بلندن ورجال حزب المؤتمر يطالبون بوحدة الهند المستقلة دون ما اعتبار للفوارق الطائفية وقف الدكتور محمد اقبال في اجتماع حزب الرابطة الاسلامية السنوى في « الله اباد » وطالب بقيام دولة اسلامية في الهند ، ومما جاء في خطابه ذلك قوله : ليست المجتمعات الهندية كالمجتمعات الاوروبية، فالهند قارة عظيمة تضم اشتاتا من العناصر والطوائف تباينت اديانها وتعددت لغاتها واختلفت تقاليدها ، فلا يمكن للديموقراطية الاوروبية أن تطبق في الهند من غير ان يسبقها اعتراف بكيان هذه المجتمعات الطائفية ، فاذا طالب المسلمون في الهند بتأسيس دولة فان لمطلبهم ما يبرره ، وبودى أن ارى البنجاب واقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان وقد ضمتها دولة واحدة .

ومع ان اقبال نادى بهذه الدعوة لقيام دولة اسلامية في الهند وهو رئيس لحزب الرابطة الاسلامية في عام ١٩٣٠ م ، الا ان هذه الفكرة لم يوافق عليها الحزب ولم يتخذها مبدأ له الا عام ١٩٤٠ م ، أثناء انعقاد دورته التاريخية في « لاهور » ذلك العام بعد ان توفى اقبال بعامين ، وصار « محمد على جناح » قائدا لحزب الرابطة الاسلامية ومدافعا عن قيام « الباكستان » ، وذلك على الرغم من انه كان في بداية حياته السياسية من انصار الوحدة والتعاون بين المسلمين والهندوس ، وقد غيرت التجارب القاسية من تفكيره واتجاهه فآمن بالتقسيم وسار في ايمانه الجديد لا يتراجع ولا يلين حتى كان قيام دولة الباكستان على يديه .

صارت عقيدة مائة مليون مسلم في الهند اقامة دولة الباكستان ، ومن ثم وجدنا اصرار القائد والحزب في مؤتمر « سملا » الذى دعا اليه نائب الملك

---

(٤٧) د. عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٨٥ ـ ٨٦ .

اللورد ويفل عـام ١٩٤٥ على ضرورة قيام الباكسـتان . فعمدت الحكـومة البريطانية الى اجراء الانتخابات في الهند التى انتهت بفوز ساحق لحزب رابطة العالم الاسلامى ووجهة نظرها في التقسيم . اذ احرز كل المقاعد المخصصـة للمسلمين في المجلس المركزى و٤٤٦مقعدا من ٤٩٥مقعدا في المجالس المخصصة لهم ، وكذلك اسفرت عن فوز حزب المؤتمر في دوائر الهنـدوس . وكانت الحكومة البريطانية عازمة على منح الهند استقلالها . واصبح حزب الرابطة الاسلامية وحزب المؤتمر وارثى السلطة في الهند (٤٧) . ومن ثم يبدأ الصراع.

وقد بذلت محاولات عديدة في اعقاب الحرب العالمية الثانية للتوفيق بين حزبى الرابطة الاسـلامية والمؤتمر باءت كلها بالفشل حتى اسـتنفذت بريطانيا كل محاولاتها ولم تجد بدا من قبول الامر الواقع ، فأعلنت في ٣ يونيو ١٩٤٧ قبول فكرة تأسيس الباكستان . وفي منتصف اغسطس من نفس العام أعلن قيام دولة الباكستان بعد التقسيم . فظهرت الى الوجود مرة اخرى اكبر دولة اسلامية في العالم هى دولة الباكستان الاسلامية .

ومما تجب ملاحظته ان فكرة دولة اسـلامية في الهند لم تتبلور عند المسلمين فقط ، بل وعند الهندوس كذلك بعد ان رأوا استحالة الوصول الى حل اذا لم يرضوا المسلمين ، ولذلك فقد وضع « كريشنا مينون » وهو الهندى الوحيد الذى كان في حاشية نائب الملك . برنامجا يقضي بايجاد باكستان فقبله نهرو زعيم حزب المؤتمر (٤٨) . كما ان قيام الباكستان له وجـوده التاريخى الذى يؤيده والذى امتد قرونا من الزمان تأصـل فيها بناء الدولة الاسلامية الكبرى في الهند وانتشار الاسلام في شبه القارة الواسعة ، وقبل ان تقوم الباكستان على اساس دينى فانها تستمد كيانها القومى من هـذا الوجود التاريخى القـديم . وقد تمركزت العناصر الاسـلامية في المنـاطق الشمالية الغربية والشـمالية الشرقية من الهند ؛ وهم في هذه المناطق يكونون الكثرة التى تؤكد وحدتهم وتؤيد قيـام دولتهم ، بينما ينتشر الهندوس في هضبة الدكن وفي المناطق الشمالية الوسطى .

والتعصب الهندوسي لا يقوم على العقيدة والايمان قدر ما يقوم على

---

(٤٧) محمد عطا و د. عبد الحميد البطريق : باكسـتان في ماضيها وحاضرها ص ٥٦ .

(٤٨) د. احسان حقى : المرجع السابق ص ١٧٣ .

اختلاف الطبائع والعقائد فهو لذلك متجدد دائم باق ما دام تباين العقيدة وبقى تباين الطقوس والمقدسات الدينية، فذبح المسلمين للبقرة كفيل بوقوع المذابح بين الطائفتين ما بقى الهندوس يقدسون البقرة ، فقيام الباكستان ضرورة واقع التاريخ وواقع لمصلحة والعدالة لمائة مليون مسلم .

ونتساءل كيف تم تنفيذ قرار التقسيم واعنى قيام دولة الباكستان الاسلامية ؟

عندما اذاع زعماء الطوائف الثلاثة الكبرى في الهند : « جواهر لال نهرو » ممثل الهندوس وزعيم حزب المؤتمر ، و « محمد على جناح » ممثل المسلمين ورئيس حزب الرابطة الاسلامية ، « والسردار بالديف سنج » ممثل السيخ ، على سكان شبه القارة الهندية مشروع التقسيم في ٣ يونيو ١٩٤٧ واوصوا اتباعهم بقبوله لم يخف كل من « الباندیت جواهر لال نهرو » والسردار بالديف سنج خيبة املهما في المشروع (٤٩) . واشترط حزب المؤتمر ان تقسم كل من البنغال والبنجاب حسب كثرة سكانها من المسلمين والهندوس ، واستجاب محمد على جناح لهذا الشرط حسما لامتداد النزاع مع ان فيه بعض الغبن على المسلمين لان المنطق كان يقضي بضم الولاية كلها باعتبار اغلب سكانها (٥٠) .

وعلى هذا فقداخذ الهندوس بلاداكثرية سكانها من المسلمين واخذوا رءوس انهار تجعل رى باكستان تحت رحمتهم واخذوا معابر طرقات داخل الارض الباكستانية تجعل باكستان في متناول ايديهم ، وتحول دون الباكستانيين ودون الهند ، كما انهم استولوا على ولاية « كوردا سبورا » شرق البنجاب لكى يسهل عليهم الاتصال مباشرة بأمارة « جموكشمير » وهذا يعنى أن المسلمين اعطوا بلادا مبتورة مفككة الاوصال محرمة من وسائل العيش وصارت باكستان باكستانين : شرقية في البنغال ، غربية في شمال غرب شبه القارة الهندية (٥١) .

---

(٤٩) عبد القادر خان ترجمة ابراهيم نوار : مأساة كشمير ص ٦ .
(٥٠) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١١ ــ ٢١٢ .
(٥١) احسان حقى : المرجع السابق ص ١٨٥ .

وكلمة باكستان من وحى الشاعر العظيم محمد اقبال ومعناها «ارض الطهر» وترمز الكلمة الى الولايات الاسلامية في الهند . فالباء من بنجاب والألف من الباتان والكاف من كشمير والسين من السند واما كلمة «ستان» فمعناها دولة . وتكونت باكستان من قسمين شرقى هو البنغال وعدد سكانه نحو اثنين واربعين مليونا . وغربى وهو ولايات الحدود الشمالية الغربية . « وبلوخستان » و «السند» و «البنجاب الغربية» وعدد سكانها كلها نحو ٣٣ مليونا (٥٢) . ويفصل بين القسمين محيط من الارض الهندية يبلغ في اقصر مدى له ١٢٠٠ ميل .

وتتكون باكستان الشرقية ـ بنجلاديش حاليا ـ من اقليم شرقى البنغال وتبلغ مساحتها حوالى ٥٥ الف ميل مربع وعدد سكانها آنذاك كما اشرنا ٤٢ مليونا ، فهى بهذا من اشد بقاع العالم ازدحاما بالسكان ، اذ يبلغ متوسط كثافة السكان في الميل المربع ٧٧٧ نسمة ويرويها نهر الكنج وروافده . واما باكستان الغربية فتتكون كما ذكرنا من السند والبنجاب الغربية الى جانب اقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان واقليم العاصمة الادارى حول كراتشي وعدد من الامارات اكبرها امارة « بهاولبور » ، وتبلغ مساحة باكستان الغربية حوالى ٣١٠ الف ميل مربع يعيش عليها حوالى ٣٣ مليونا من السكان، فهى بذلك اقل سكانا واقل كثافة في نسبة السكان للميل المربع من باكستان الشرقية وتجرى فيها خمسة انهار هى السند وروافده الاربعة وتنبع جميعا من كشمير (٥٣) .

وعندما أعلن التقسيم بادر الهندوس الى الاعتداء على المسلمين في الولايات التى صارت جزءا من دولة الهند ، واتخذ الاعتداء صورا وحشية حتى اضطر المسلمون الى الفرار من الهند والهجرة الى الاراضي الباكستانية مخلفين وراءهم اموالهم وديارهم ، فكانت هجرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، اذ انتقل في بضعة شهور نحو عشرة ملايين مسلم من الهند الى باكستان، فكان وجود هذه الملايين من اللاجئين الى باكستان نكبة على نكبتها ، ولكن الباكستانيين استقبلوا اخوانهم بكل ترحاب وفتحوا لهم صدورهم وآووهم واندمجوا بهم واصبحوا شعبا واحدا (٥٤) .

---

(٥٢) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١٢ .
(٥٣) د. حسين فوزى النجار : مع الاحداث في الشرق الاوسط ص٦٣
(٥٤) احسان حقى : المرجع السابق ص ١٨٧ .

وقد نتج عن التقسيم عدة مشـــكلات ، ذلك انه كان اثنـاء الحكم البريطانى للهند ما يعرف بالهند البريطانية بمقاطعاتها الثمانية ، وما يعرف بهند الامراء . وفي هند الامراء كانت هناك أكثر من ٦٠٠ امارة كبيرة وصغيرة، يحكمها امراء كبار وصغار حسب اهمية اماراتهم ، وكانوا يحكمونها حكمـا مطلقا يستمد بعضهم سلطته من نائب الملك رأسا وهم الامراء الكبار وعددهم ٣٣ اميرا منهم مسلمون وهندوس ، والباقى من الامراء يستمدون سلطتهم من الحاكم للولاية التى بجوارهم . وكان الامير الهندوسي يعطى لقب «مهراجا» والامير المسلم لقب «نواب» (٥٥) .

وكان من الامارات الكبرى امارة «حيدر اباد» التى تبلغ مساحتها ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة وتقع في جنوب الهند وسـط ولايات «بومباى» و «مدراس» و « واوريسا الهندية » ، ومعظم سكانها من غير المسلمين ، بينما كان عدد المسلمين حوالى المليونين بينما كان حاكمها مسلما وأراد ان يبقى مستقلا على ان ينظم علاقته مع حكومة الهند حسب القرار المتفق عليه حين اعلان استقلال الهند ، ولكن الجيش الهندى زحف على الولاية وضمتها الهند الى ولاياتها نهائيا في سبتمبر ١٩٤٨ م (٥٦) .

وكانت الامارة الكبرى الاخرى هى امارة كشمير التى كانت على العكس من امارة حيدر اباد اذ كان يحكمها أمير هندوسي هو « المهراجـا دوجرا » بينما اغلبية سكانها مسلمون ، وقد اختارت الاسـتقلال عن كل من الهند والباكستان وأعطى لحاكمها ـ وليس لشعبها ـ الحق في الانضمام الى اى من الدولتين ، ولكن الهند ضمتها بالقوة ايضا كما ضمت من قبل امارة حيدر اباد ، ولكن هذا العمل من جانب الهند قد اثار استياء باكستان وصارت مشكلة دولية تهدد بالحرب بين الدولتين .

وعند التقسيم بين الهند والباكستان انضم عدد قليل من الامارات الهندية الى باكستان وهى : آمب ، بها ولبور ، شترال ، دير ، قـلات ، خيربور ، خاران ، لا سبيلا ، مانافادر ، مكران ، صوات ، جوناكاد . اما بقية الستمائة امارة فقد انضمت الى الهند .

---

(٥٥) عبد المنعم النمر : المرجع السابق ص ٢١٤ .
(٥٦) نفس المرجع ص ٢٨٨.

ولم تنته مشـــكلات الباكســـتان بقيامها اذ ان اختلاف عنصرى الباكستانيين بين البنغاليين في باكستان الشرقية ، والبنجابيين في الغرب قد ادى الى مشكلات بين الاشقاء المسلمين في الدولة الواحدة ، ومن هنا لعبت الهند دورا في انقسام الباكستان الى دولتين . ذلك ان الخـلاف بين الهند والباكستان كان عنيفا ، فالباكستان دخلت في احلاف عسكرية مع الولايات المتحدة الامريكية وبقية الدول الغربية (مثل حلف جنـوب شرق آسيا والحلف المركزى بغداد سابقا) ، بينما اتبعت الهند سـياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وانتهزت الهند فرصة الصراع بين اقليم شرق الباكســـتان (وهم من البنغاليين الذين لهم اخـوة في الجنس مع الهندوس في الهند) ، واقليم غرب الباكستان الذى تركزت فيه العاصمة والرئاسة ومعظم الوظائف الكبرى رغم قلة عدد سكانه بالنسـبة للاقليم الشرقى .

وانتهزت الهند فرصة هجرة الكثير من باكستان الشرقية الى اراضيها ودخلت الى جانب هذا الاقليم الشرقى في حرب عام ١٩٧١ م ضد الباكستان انتهت بانفصـال باكستان الشرقيـة التى اصبحت تعرف باسـم جمهورية بنجلاديش الاسلامية كدولة مستقلة،وحدث تعديل في الحكومة الباكستانية بما يجعلها اكثر ادراكا للواقع ، وظهر السيد ذو الفقار على بوتو زعيم حزب الشعب كرئيس للحكومة الباكستانية الجديدة التى اقرت بالامر الـواقع واعترفت بانفصال الاقليم الشرقى بل واعترفت بقيام بنجلاديش بزعامـة الشيخ مجيب الرحمن رئيس حزب رابطة عوامى .

ولنا سؤال اخير ؟ هل انقسام شبه القارة الهندية الى دولتين بقيـام دولة الباكستان الاســلامية ــ والتى انقسمت بدورها فيما بعد الى دولتين اسلاميتين ــ كان لـه ما يبرره ؟ من سـياق التاريخ الذى رايناه منذ نزل الانجليز على ارض شبه القارة الهندية ظهر بوضوح ان السياسة البريطانية عملت على التفريق بين ابناء الوطن الواحد ، ورغم تسامح المسلمين الا ان تعصب البعض منهم وجمود افكارهم جعلهم اعداء طبيعيين للهندوس ، كمـا ان عدم تقبل الهندوس لبعض التعاليم الاسلامية التى يقوم بها المسلمون الى جانب تعصبهم الاعمى لافكارهم ومعتقداتهم جعلهم اعداء طبيعيين كذلك للمسلمين ، ومن ثم كان من الضرورى ظهور الباكستان ، وان كان ما زال يوجد داخل الهند ذاتها حوالى ٤٠ مليون مسلم فضلوا البقاء على الارض الهندية ولم يهاجروا الى الباكستان ، وهؤلاء يتحملون الى اليـوم اعتداءات متكررة من جانب الهندوس .

ثانيا : تحرير اندونيسيا

تتكون اندونيسيا من مجموعة من الجزر والارخبيلات اكبرها جاوة وتمتد من سومطرة الى غينية الجديدة ، ومن الغرب الى الشرق على امتداد خمسة آلاف من الكيلو مترات ، وكانت مركز الامبراطورية الهولندية الاستعمارية الكبرى فيما وراء البحار (٥٧) . وهذه الجزر عرفت الاسلام في اواسط القرن الثامن للهجرة او القرن الرابع عشر للميلاد ، وقد بلغ عدد سكانها من المسلمين في احصاء عام ١٩٣٠م الذى أجرته هولندا ٦٤ مليون نسمة (٥٨) .

وجاء دخول الاسلام الى هذه الجزر عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا اليها قادمين من الهند وعن طريق التعامل والاختلاط مال سكان تلك الجزر الى اعتناق الدين الاسلامى بأسلوب سلمى وبدون ادنى ضغط او قهر ، وجاء انتشار الاسلام في « جاوة » أسبق من بقية الجزر ، ومن ثم اتخذ الاسلام من « جاوة » مركزا للانتشار الى بقية الجزر الاخرى حيث امتد ليشمل « سومطرة » والى قسم من « بورنيو » و « سيليب » ، والجزر التى في الشرق منها ، والمتصفح لرحلات ابن بطوطة الرحالة العربى المشهور يقرأ له مدحا وثناءا على ملك سومطرة المسلم في القرن الرابع عشر الميلادى لان هذا الملك جاهد الكفار الوثنيين ونشر الاسلام بينهم (٥٩) .

وصار للعرب المسلمين في جزر اندونيسيا سلاطين وأمراء ، وصار للعرب معرفة تامة بالجزر وبخيراتها ، وحيث كانوا اكثر حضارة من سكانها فقد صاروا في مراكز مرموقة بين الناس استندت كذلك على خبراتهم بأمور التجارة والملاحة في البحار والادارة ، ومن الجدير بالذكر ان علاقات العرب التجارية بسكان تلك الجزر لم تكن مهما كثرت واتسعت لتكفى في نيل العرب هذه السيادة الاجتماعية والادبية على جزائر عظيمة كهذه فياضة الخيرات زاخرة العمران ، بل كانت معهم قوة اعظم من هذه وهى قوة العقيدة المحمدية التى هى من الجلاء والبساطة بحيث يفهمها الخاص والعام (٦٠) .

---

(٥٧) بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ص ٧٧٧ .
(٥٨) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .
(٥٩) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة من طنجة الى الصين .. ص ٢٨٥ .
(٦٠) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

ويقدر المؤرخون تاريخ دخول الاسلام الى جزر اندونيسيا بخمسة قرون تبتدىء من القرن الثانى عشر الميلادى الى ان تنتهى باحتلال الهولنديين لها في القرن السابع عشر ، ولم يؤسس العرب في تلك الجزر دولة او سلطنة موحدة وان كانوا قد نجحوا في اقامة اسس وحدة اسلامية تبقى ما بقى الانسان على تلك الارض ولا تسقط امام عدوان اوروبى أو غيره . ولعل وجود الجزر متباعدة كان من العوامل التى لم تمكن العرب من اقامة دولة موحدة فيها. ومما تجب ملاحظته ان معظم العرب الوافدين الى تلك الجزر كانوا من حضرموت بجنوب الجزيرة العربية . وهؤلاء مشهود لهم بالمثابرة والخبرة الملاحية والتجارة والادارية الى جانب تمسكهم بالاسلام وحسن معاملتهم لشعوب تلك الجزر .

واكبر تلك الجزر هى جاوة التى تبلغ مساحتها ٥٠٠ ر١٣١ كم٢، وان كانت بورنيو اكبر منها بل اكبر جزيرة في الكرة الارضية بعد جزيرة غينية الجديدة، اذ ان مساحتها ٧٤٦٠٠٠ كم٢ ولكنها قسمت بين هولندا وانجلترا وقد دخل الاسلام الى بورنيو في القرن السادس عشر الميلادى وصار لها سلطان مسلم أواخر ذلك القرن ، وظلت تحافظ على إستقلالها امام البرتغال والاسبان والانجليز والهولنديين حتى أواسط القرن الثامن عشر .

وثالث الجزر من حيث العظمة والاتساع هى جزيرة سيلاب Célébes المعروفة احيانا باسم « سيليبيس » ـ ومساحتها حوالى ٣٢٢٨ كم٢ وقد انتشر الاسلام اليها اواخر القرن السادس عشر . ومع بداية القرن السابع عشر تنافس الهولنديون والانجليز والدنمركيون مع البرتغاليين في الفوز بمحاصيل هذه الجزيرة من البهارات والفلفل والقرنفل وغيرها مما تشتهر هذه الجزيرة بانتاجه . حتى انتهى الامر بنزول الهولنديين الى الجزيرة وبسط سطرتهم عليها اعتبارا من عام ١٦٦٧ م .

وتعتبر جزيرة سومطرة من اعظم الجزر في العالم ، ويفصلها عن بلاد الهند الصينية « بوغاز ملقا » وعن جاوة بوغاز « الصوند » ، ومساحتها ٤٣٠٠٠٠ كم٢ ومعظم سكانها مسلمون . وخيراتها كثيرة سواء كانت زراعية أو معدنية ، وسكانها خليط من العرب والهنود والماليزيين والصينيين ، وقد خضعت هذه الجزيرة ايضا للسيطرة الهولندية .

وفي ظل الاستعمار الهولندى كانت الدولة تهدف منذ عام ١٨٣٠ الى انشاء مزارع تنتج تحت اشراف الاوروبيين المواد الغذائية والمواد الاولية

اللازمة للتصدير مثل سكر القصب والقهوة والكاكاو وزيت النخيل والمطاط، في الوقت الذى عملت فيه مزارع الوطنيين بشكل خاص على الانتاج من اجل الاستهلاك المحلى فأنتجت الارز والفول السودانى ، وكانت الدولة وبصفتها المالكة لموارد ما تحت الارض تمارس اما الاستغلال المباشر واما منح عقود امتيازات طويلة الاجل ، ومن ثم ازدهر انتاج تلك الجـــزر ولكنه لم يكن ذا فائدة كبـرى الا للاوروبيين ، وفي بعض الحالات بالنســـبة للمهاجرين الصينيين ، واستمرت جماهير الشعب الاندونيسي ، ونسبتهم حوالى ٩٥٪ تعيش داخل النطاق التقليدى للاقتصاد المحلى (٦١) .

ورغم السيطرة الهولندية فان المسلمين الاندونيسيين استمروا ينشرون الاسلام بين الوثنيين من سكان الجزر والوافدين عليها ، وقد سبب ذلك ضيقا من جانب جمعيات التبشير الهولندية التى اخذت تضغط على الحكومة الهولندية لتوقف حركة انتشار الاسلام ، بل ولتضع العراقيل امام المسلمين الراغبين في الحج الى بيت الله الحرام ، ومحاولة قطع اثر الحضارةالاسلامية الزاهرة والوافدة من مصر وجزيرة العرب حيث ان مسلمى تلك الجزيـرة يقلدون في ديانتهم وعاداتهم مسلمى مصر وحضرموت بل وبقية عرب الجزيرة العربية ، عاكفين على مطالعة التآليف التى تحرر في البلاد العربية ، وانه يجب في رأى الاستعمار الهولندى ـ وجود عاطفة قوميـة في تلك الجزر تناهض هذه النزعة الدينية العربية (٦٢) .

ولم تكن السيطرة الهولندية في جزر اندونيسيا مهددة بشـكل واضح من الوطنيين ، وذلك لان الادارة الهولندية لم تقدم اية خدمات في مجال التعليم والادارة وغيرها لهؤلاء الوطنيين حتى اوائل القـرن العشرين ، وان كانت تلك الادارة قد وقعت تحت ضغط الصينيين الذين يعيشون في تلك الجزر ويطالبون بمركز اكثر سموا من جماهير الاندونيســـيين . وعندما سمح للوطنيين بالتعليم في مدارس الهولنديين ظهرت عام ١٩١١ م «جمعية صرخة الاسلام» والتى كانت مجرد رابطة للتجار ، جمعية سياسية طالبت بمشاركة المسلمين في الادارة ، ومع ذلك فان هذه المجموعة الاولى للمقاومة لم تطالب حتى ذلك الوقت بالتحرر ، ولم تكن تمثل اى تهديد على وجود الاوروبيين(٦٣)

---

(٦١) بيير رنوفان : المرجع السابق ص ٧٧٨ .
(٦٢) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .
(٦٣) بييرنوفان : المرجع السابق ص ٧٧٩ .

ويرجع فضل النهضة الوطنية في اندونيسيا الى يقظة المسلمين وتأسيس أول جماعة من جماعات الاصلاح باسم « شركة اسلام » وهى الجماعة التى انضوت اليها جماعات متعددة باسم « مسجومى » وهى كلمة مأخوذة من « مجلس سجورو مسلمين اندونيسية » Madjelis Sjuro Muslimin Indonesia واكثر القائمين بهذه الدعوة من تلاميذ الشيخ محمد عبده وقراء تفسيره بمجلة المنار (٦٤) .

ويقدر عدد سكان اندونيسيا حاليا بحوالى ١٣٠ مليون نسمة ، فهى بهذا خامس دولة في العالم من ناحية عدد السكان ، والدول الاربع الاكثر سكانا هى على الترتيب : الصين، والهند، والاتحاد السوفيتى، والولايات المتحدة الامريكية ، ويؤلف المسلمون ٩٤٪ من مجموع السكان في اندونيسيا بينما يمثل المسيحيون ٣٪ من عدد السكان ، والهندوس والبوذيون معا يمثلون ٢٪ من عدد السكان ، ومعتنقو الديانات الاخرى يمثلون ١٪ من عدد السكان . ومسلمو اندونيسيا هم من أهل السنة والجماعة (٦٥) .

وكان للجمعيات الاسلامية دور بارز في نشر التعليم لنشر المعرفة وابلاغ تعاليم الاسلام ومن هذه الجمعيات : الجمعية المحمدية ، وجمعية نهضة العلماء، وشركت اسلام، وجمعية الارشاد، وديوان الدعوة الاسلامية والمنظمة الاسلامية الدولية ، الى جانب بعض الاحزاب الاسلامية مثل : الحزب الاسلامى الاندونيسي ، وحزب برتى الاسلامى ، بالاضافة الى الصحف الاسلامية ، وكل هذه المؤسسات تدعم الروح الاسلامية في نفوس اهل اندونيسيا .

---

(٦٤) عباس محمود العقاد : الاسلام في القرن العشرين ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٦٥) د. محمد السيد غلاب : البلدان الاسلامية ص ٣٠١ .

الوحدة الإسلامية

تأثرت اقطار الوطن العربى والاقطار الاسيوية المجاورة بحركة ديناميكية في القرن السابع الميلادى هى ظهور الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، وهذه الحركة الاسلامية وما يتصل بها وما يمكن تسميته ايضا بالحركة العربية التى ظهرت بها قوة اللغة العربية التى رافقت الاسلام كدين في انتشاره السريع قد أثرت على المجتمعات التى انتشر بها من القرن السابع الميلادى حتى الوقت الحاضر ، وظهر تأثيرها في جميع نواحى حياة الانسان في ذلك الوقت .

وتعتبر حضارة الاقطار العربية والاسلامية خلاصة تفاعلات بين ثقافات واتجاهات واجناس وشعوب مختلفة تآلفت وامتزجت في ظل الخلافة الاسلامية التى ظهرت اولا في شبه الجزيرة العربية عندما ظهر الاسلام وانتشر في ايام الخلفاء الراشدين ، ثم في ظل دمشق عاصمة الامويين فبغداد عاصمة العالم الاسلامى في عصر الخلفاء العباسيين ، ثم في ظل القاهرة كعاصمة عربية للخلافة الاسلامية .

وتعتبر المرحلة الاولى لظهور الاسلام وانتشاره هامة نظرا لظهور عوامل اساسية ادت الى وحدة الثقافة الاسلامية لب الوحدة الاسلامية وجوهرها ، وهذه العوامل هى : ـ

١ ـ الوحدة الروحية التى جمعت الشعوب الاسلامية عربية وغير عربية .

٢ ـ ارتباط الدين بالسياسة ، فقد كان الخليفة هو الزعيم السياسي الى جانب كونه الزعيم الدينى للمسلمين ، مما ساعد على ان يكون للدين الاسلامى أثر عميق في كل مرافق وميادين الحياة في انحاء العالم العربى والاسلامى .

٣ ـ شيوع مبادىء الاخاء والمساواة التى تحطم الحواجز بين الناس دون النظر الى الجنس او اللون ، وهذه المبادىء تستند الى الشرائع السماوية التى اتى بها الدين .

وقد انتشر الاسلام بمبادئه الروحية والاجتماعية والسياسية والفكرية خارج شبه الجزيرة العربية ووصل في انتشاره الى مختلف قارات الارض وقد اظلت ولاية الاسلام ما بين نقطة الغرب الاقصي الى « تونازنى » على حدود الصين في عرض ما بين « فازان » من جهة الشمال وبين « سرنديب » تحت خط الاستواء أقطار متصلة وديار متجاورة يسكنها المسلمون وكان لهم فيها السلطان الذى لا يغالب (٦٦) . وكانت حركة انتشاره قوية نشطة في بدايتها حتى بدا كأن الاقطار التى انتشر بها تكون كتلة اسلامية متماسكة قوامها أن المسلمين مهما بعدت بينهم الديار التى يسكنونها وتباينت اللغات واختلفت الاجناس ، هم اصحاب وحدة في التوجيه واصحاب وحدة في اعتبار المصدر المقدس الاكبر ـ وهو القرآن الكريم ـ لواء يلتف المسلمون جميعا تحت رايته ، وهذا كله كفيل بتقوية أواصر الوحدة الروحية ، وبعث النهضة الاسلامية القوية الجديرة بالقيادة والتوجيه لخير الانسانية موجهة نحو بناء مجتمع قوى الدعائم متكامل الروابط في ظل الاخاء والسلام .

ولا يقلل من هذه الوحدة الاسلامية ما تقتضيه طبيعة التفكير واختلاف وجهات النظر في الاستنباط والتدليل . وما تمليه سنن الاجتماع من التسابق الذهنى في الوصول الى الحقائق العلمية . فهذا خلاف مرغوب يدل على الثروة الفكرية والعظمة الاسلامية التى حررت العقول وارهفت الافكار وشحذت الاذهان ولم تحبسها فيحيز محدود أو نطاق محصور .

واجتهاد المجتهدين أورث الامة الاسلامية تراثا فكريا خالدا انتجته العبقريات التشريعية من أئمة المذاهب الاسلامية الكبرى ، وهذا التراث الفكرى يعتبر بحق موضع اعتزاز تفخر به الامة الاسلامية لانه يدل على رحابة الفكر وسعة الافق ، أما الامة الاسلامية ـ وان تعددت فيها المذاهب ـ امة واحدة بحكم ما اتفقت عليه من المواضع التى ربطت بينها

---

(٦٦) جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى ص ١٠٧ .

ولها مواضـــع تختلف فيها باختلاف العقول ، ووضوح الدلالات وتغـير المصالح والاحوال ، والامة بحكم ما اتفقت عليه أمة واحدة ، وبحكم مـا اختلفت فيه مذاهب متعددة ، والمذهبية لا تخرج عن اعتبارهم لبنات من بناء الامة الاسلامية الواحدة مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى : وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون .

وبهذا يتضح أن الوحدة من ألزم الفرائض الواجبة على الامـــة الاسلامية ، وان المسلمين متحتم عليهم أن يعيشوا دائما متضامنين ، وهم يد على من سواهم ، وان كيانهم وبقاءهم متوقف على هذه الوحدة ، وعلى الاقل في الاهداف والغايات اذا أجيز التعدد في الوسائل بحسب ما تمليه مصالح الشعوب ، ومن أهم الاهداف ان تقف الامة الاسلامية كلها صـفا واحدا أمام الاعداء وعلى الامة الاسلامية أن توجد من الهيئات والمؤسسات ما يؤدى الى تحقيق غايات الدفاع والحماية والتنسيق بين سياساتها ، ويجب أن يكون واضحا أن الدولة الاسلامية أعم وأشمل من الدولـــة السياسية ، لان الدولة الاسلامية ذات وظائف مادية وروحيـة في وقت واحـــد .

وازاء تطلع المسلمين الى وحدتهم بدأت الاتجاهات المعادية للوحدة الاسلامية تقوم بدور خطير لهدمها ، وحقيقة الامر أن الوحدة الاسلامية تعرضت لعوامل تفكك من الداخل وعوامل غزو من الخارج ـ كما سـبق أن رأينا ـ أما عوامـــل التفكك الداخلى فقد تمثلت ـ كما هو معلوم ـ في قيام امارات ودويلات اسلامية هنا وهناك في أنحاء الامة الاســـلامية منسلخة من الكيان الاسلامى العام ، الى جانب ما أصاب المسلمين من جمود فكرى وخلافات مذهبية وسياسية شديدة أبعدتهم عن وحدتهم المتوارثة(٦٧).

وأما العوامل الخارجية المعادية للوحدة الاسلامية ـ وكما هـــو معلوم كذلك ـ فقد تمثلت في الغزوات المغولية والصليبية في العصـــور الوسطى للدولة الاسلامية ، ثم في الغزوات الاســـتعمارية الاوروبية فى التاريخ الحديث والمعاصر ، فقد خضعت الاقطار الإسلامية على امتدادها ودون استثناء لاحتلال وسيطرة من جانب الدول الاوروبية خلال القـرنين الثامن عشر والتاسع عشر بصفة خاصة .

---

(٦٧) يمكن الاستزادة من هذا الموضوع من كتاب العـــروة الوثقى ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

ومكمن الخطورة في هذا الاستعمار الاوروبى هو ما ارتبط به من جهد بذله الاستعماريون لكى يحطموا الوحدة الاسلامية ، وقد نجح الاستعماريون في تمزيق وحدة العالم الاسلامى وتفريق شمله وما نشروه من مذاهب فلسفية هدامة ، وما بثوه من أراجيف وشكوك حاولوا بها طمس معالم الاسلام ، وتشويه صحيفته وتبديد تراثه وتهوين اهدافه المثالية ومقوماته المعنوية . والاخطر من ذلك هو موالاة الحكام للاجنبى المخالف لهم في الدين والجنس ، ولجأوا للاستنصار به وطلب المعونة منه على ابناء ملتهم (٦٨) .

ولكن قيض الله للعروبة والاسلام رجالا مخلصين وقفوا مدافعين عن الاسلام والوحدة الاسلامية اعتبارا من القرن الثامن عشر الميلادى وما تلاه من قرون ، منهم زعماء الدعوات السلفية : محمد بن عبد الوهاب في نجد بشبه الجزيرة العربية ، ومحمد بن على السنوسي في برقة بليبيا ، ومحمد احمد المهدى في السودان ، الى جانب دعوة الجامعة الاسلامية التى تزعمها السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده ، كما كان منهم زعماء الثورات والحركات الوطنية التى تصدت للاستعمار في انحاء العالم الاسلامى .

ومما هو جدير بالذكر أن فكرة الجامعة الاسلامية تدعو الى وحدة صفوف المسلمين وراء الدولة العثمانية ، وهذه هى العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، أى أن الافغانى كان يعمل الى جانب اصلاح المساوىء الدينية والاجتماعية على صد النفوذ الاوروبى ، خاصة وانه كان يرد الاستعمار الاوروبى الى اساس دينى ويعتبره حركة نصرانية موجهة ضد الاسلام .

فحركة الجامعة الاسلامية اذن التى تبناها جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده حركة اسلامية عامة مجالها العالم الاسلامى كله وغايتها جمع المسلمين على كلمة سواء واقامتهم على مبدأ التحرر من قبضة المحتلين والمستبدين من المسلمين وغير المسلمين ، فالحركة وان لم تقم باسم الدين فانها كانت في صميمها دعوة تحريرية للعقل الاسلامى كله، وهى وان لم تقم كذلك في ظل عصبية القبيلة أو الوطن فانها قامت في ظل العصبية الاسلامية في جميع الاقطار .

---

(٦٨) جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : العروة الوثقى ص ١١٠ .

وهكذا يمكن القول أن العالم الاسلامى كان يموج منذ أواخر القرن الثامن عشر بحركات دينية قوية جاءت كرد فعل لحركة الاستغراب Westernization في الشرق الادنى وكرد فعل لاعتداءات الدول الاوروبية على بعض أجزاء العالم الاسلامى ، وكانت بعض هذه الحركات الدينية تتخذ موقفا سلبيا من الاستغراب وتنادى بالارتداد أو الرجوع الى الاصول الاسلامية الاولى ، وهذه هى الدعوات السلفية التى أشرنا اليها ، الا أن الجامعة الاسلامية كانت أكثر ادراكا لمشكلات العالم الاسلامى .

وتنبع مشكلات العالم الاسلامى المعاصر من موقف هذا العالم من المذاهب والتيارات العالمية وتكتلها واطماعها في أقطار ذلك العالم ومحاولتها هدم الوحدة الاسلامية ومنع قيامها مرة اخرى ، فالمشكلة في واقع الامر هى مشكلة حضارية يعيشها العالم الاسلامى وسط المذاهب والتكتلات الدولية ، اذ ان أقطار العالم الاسلامى متخلفة عن الدول الاوروبية والامريكية ، باعتبار الاقطار الاسلامية خضعت سنوات طويلة لعهود من السيطرة الاجنبية والاستغلال الاوروبى والعزلة المفروضة على نشاطها وحياتها في مختلف الميادين .

أن مجتمعنا الاسلامى حاليا يعانى من المشكلات مالم يعانه في عصر من العصور الماضية ، وذلك راجع الى عدة عوامل نذكر أهمها على النحو التالى :

١ ـ اصطدام المجتمعات الاسلامية بالحضارة الغربية ونظمها وفلسفتها وأخلاقها التى تختلف في جوهرها عما ساد المجتمع الاسلامى من نظم وفلسفات وأخلاق وعادات .

٢ ـ تفكك المجتمع الاسلامى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا تفككا بصورة كبيرة نتج عنه شعور أبنائه بالحالة المتخلفة التى يعيشون فيها ، ورغبتهم في التخلص من هذا التخلف والسير في ركب الحضارة التى تسود العالم اليوم ، وكان من الطبيعى أن يشعر المتعلمون وحملة الفكر في هذا المجتمع الاسلامى بوطأة هذا التخلف والحاجة الى سلوك الوسائل المجدية للخلاص منه ، والتمسك بالوفاق والغلب اللذين هما عمادان قويان وركنان شديدان من أركان الديانة الاسلامية (٦٩) .

---

(٦٩) جمال الدين الافغانى ومحمد عبده : المرجع السابق ص ١١٦ .

وفي واقع الامر انقسم مفكرو العالم الاسلامى في معالجة مشـــكلات عالمهم الى ثلاث فئات هى :

أولا : فئة لاتؤمن بصلاح ما فى يد الامة الاسلامية من تراث وعقيدة لحل هذه المشكلات ، فا تجهت الى الحضارة الغربية تنشد عندها الحل، وقد اسرفت هذه الفئة في هذا الاتجاه بحيث تخلت عن تفكيرها المستقل وعن شخصيتها المستقلة ، واستحسنت كل ما راته في الحضارة الغربية دون ان تدرك هذه الفئة الفوارق بين مجتمعنا الاســـلامى والمجتمعات الغربية وان ما يصلح لها ربما لا يصلح لنا .

ثانيا : وفئة تؤمن بأن في الاسلام حل هذه المشكلات ايمانا غيبيا ولكنها لا تعرف كيف يحلها ، وتظن ان من الممكن تطبيق الاسلام بنفس الاشـكال التى طبقت في عصر الخلفاء الراشدين تماما . وهؤلاء هم اكثر فقهاء الشريعة وعلمائها وهم بعيدون كل البعد عن تفهم مشـــكلات المجتمع الاســلامى المعاصر ، ويقفون منها دائما موقفا سلبيا ، بل اظهروا الاسلام امام خصومه بمظهر العاجز عن حل مشكلات المسلمين .

وقامت المعركة بين هؤلاء الفقهاء وبين اعضاء الفئة الاولى ـ وهـم المتعلمون في الغرب والمتأثرون بالثقافة الغربية ـ وكان سلاح هؤلاء الفقهاء ضد الفئة الاولى هو الاتهام بالكفر والالحاد ، بينما رد عليهم اعضاء الفئة الاولى بأن هؤلاء الفقهاء رجعيون جامدون ، وكأن الجمهور الاســـلامى بمجموعه وبطبيعة ايمانه واقتناعه بدينه مستعدا أن يصغى الى هـؤلاء الفقهاء اكثر ، فأيدهم وسار وراءهم .

ولم يفعل اعضاء الفئة الثانية شيئا من أجل اصلاح اجتماعى شامل، وكانت النتيجة ازدياد وطأة الحضارة الغربية على العالم الاســـلامى ، وازداد اتصال المسلمين بها خاصة منذ الحرب العالمية الاولى ، وانتشرت المعرفة واتسع نطاق العلم الذى كان متسما بطابع التفكير الغـــربى في مدارسنا ومعاهدنا العليا ، وبدا الجمهور الاسلامى يفقد ثقته بهؤلاء الفقهاء الذين عجزوا عن حل مشـــكلاته من حيث لم يثق ابدا برواد الثقـــافة الغربية المتسمة بطابع العداء للاسلام بصفة خاصة وللاديان بصفة عامة .

ثالثا : وكانت الفئة الثالثة من المفكرين الاسلاميين تتخذ موقفـــا وسطا بين الفئتين السابقتين وتنادى بأن الاسلام يحل كل مشـــكلات

المسلمين الاجتماعية ، فهى في هذا تلتقى مع اولئك الفقهاء لكنها تختلف معهم في فهم هـذه المشكلات وتصورها وطبيعة حلها ، وتختلف معهم في طريقة فهم الاسلام وتمثل مقاصده العامة ، ويختلفون مع الفئة الاولى من رواد الثقافة الغربية بموقفهم من عقيدة الامة وتراثها وبموقفهم من الحضارة الغربية وايمانهم باستقامة مبادئها ومذاهبها .

وهذه الفئة الثالثة تفهم مبادىء الاسلام على انها هى المبـــادىء الثلاثة الاتيـــة :

١ ــ تحقيق مصالح الناس في كل ما يحتاجـــون اليه ، ولا تضيق الشريعة الاســلامية بمصلحة للمجتمع ، ويقـر العقلاء والدارســـون الشرعيون والاجتماعيون بأنها مصلحة .

٢ ــ تحقيق العدالة بين الناس اذا تعارضت مصالحهم مهما كلفت العدالة من غرم لبعض الناس .

٣ ــ تحقيق التطور الاجتماعى الصالح في المجتمع الانسانى ، فـلا يقف الاسلام في وجه تطور ما في مختلف نواحى الحياة الاجتماعية ، اذا كان هذا التطور نتيجة محتمة لتطور الفكر أو العلم أو ضرورات الحياة .

كما أن لهذه الفئة الثالثة من المفكرين الاسلاميين موقف من مشكلات المجتمع الاسلامى يقوم على ضرورة دراسة هذه المشكلات دراسة عميقة وعريضة ، والاختلاط بالمجتمع اختلاطا شاملا لكل فئاته حتى تتحـــدد المشكلة وتعرف أسبابها ويعرف الطريق الصحيح لحلها حلا عمليا متفقا مع رسالة الاسلام .

وتحيط بالعالم الاسلامى المعاصر قوى ومذاهب وتيارات فـــكرية واقتصادية تزيد من مشكلات هذا العالم ، من بينها الشيوعية والرأسمالية والصهيونية ، فما موقف الاسلام منها ؟ .

ينظر المسلمون الى الشيوعية من ثلاث نواحى هى (٧٠) :

---

(٧٠) يمكن الاستزادة في هذا الموضوع من كتاب حاضر العالم الاسلامى للمؤلف الامريكى لوثروب ســتودارد وتعليق الامير شكيب ارســلان ص ٢٥٣ ــ ٢٨١ ــ تحت عنوان : القلق الاجتماعى والبلشفية .

أولا : ان الشيوعية كعقيدة ذات فلسفة مادية تنكر الروح وما وراء المادة ، وهى في ذلك تختلف عن الاسلام في اساسها وجوهرها ، ولا يمكن ان تلتقى معه في عقيدته وفلسفته ، وموقف الاسلام من فلسفة الشيوعية هو تفنيدها بالحجة والمنطق وتوضيح ما فيها من انحراف عن الحق وخطأ في الواقـــع .

ثانيا : ان الشيوعية كنظام اقتصادى اشتراكى يسعى الى تحقيـق العدالة بين طبقات الشعب ، ويمنع تحكم المال ووسائل الانتاج في العمل والعمال بأسلوب خاص . وموقف الاسلام انه وضع نظاما اشتراكيا واضح المعالم مســـتقلا عن الشيوعية وعن الاشـــتراكيات المتعـــددة وعن الراسمالية ، وهو في ذلك لا يحارب الشيوعية في كل اتجاهاتها الاشتراكية ولا يقرها في كل اتجاهاتها ايضا ، كما انه لا يحارب النظم الاقتصـادية الاخرى ولا يقرها في كل تفاصيلها واتجاهاتها .

ولقد سبقت الاديان كلها الشيوعية الى الرحمة بالبائسين وانصـاف الناس والرغبة في تحقيق العدالة بين الجماهير ، ولكل دين وســـائله الخاصـــة به في تحقيـــق هـذه الاهداف الانســـانية ، فلا ضير على الاسلام ان تتفق معه الشيوعية في اهدافه الانسانية النبيلة ، وان كانت تسلك لذلك طرقا لا يقرها الإسلام .

ثالثا : ان الشـــيوعية كدولة ذات قوة واهداف ســـياسية ، وموقف الاسلام منها هو موقفـــه من كل قوة مسلحة تجاوره . فان ســـالمت عقيدة المســـلمين وكرامتهم واحترمت ارادتهم وســـلطانهم على ديارهم ســـالمها الاسلام والمسلمون ولو كانت مخالفة في العقيدة والنظام لان الاسلام لا يعرض الحرب على كل من خالفه ، وانما يضع هذا المبدأ الخالد العادل في قول الله سبحانه وتعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولـــم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم (٧١) . وان هى حاربت المسلمين في عقيدتهم وكرامتهم وديارهم اعلن المسلمون عليها الحرب واستعد المسلمون بكل وسائل القوة لرد العدوان ، وشعارهم في ذلك هو المبدأ الذى لا يزال شرعة الامم حتى اليوم في قول الله سبحانه وتعالى : فمن اعتـــدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (٧٢) .

---

(٧١) سورة الممتحنة الآية رقم ٨ .
(٧٢) سورة البقرة الآية رقم ١٩٨ .

واذا كانت هذه نظرة الاسلام والمسلمين الى الشيوعية فلماذا تنتشر الشيوعية في بلاد المسلمين ؟ وفي راينا هناك عدة اسباب لانتشارالشيوعيةفي اقطار العالم الاسلامى سواء في المشرق ام في المغرب ، اهمها ما يلى : ـ (٧٣).

اولا : فساد الانظمة الاجتماعية ، فان انحطاط مستوى المعيشة والعلم والصحة والتفاوت الكبير بين الطبقات وفساد انظمة الحكم وانحراف الحكام عن سنن العدالة ، ذلك كله من اكبر اسباب التذمر الذى يؤدى بالجماهير الى اعتناق اية فكرة تظن فيها الخلاص من حالتها السيئة . ان الجماهير انما تعنى بمصالحها المالية قبل كل شيء،وهى تفتش عن تحقيق تلك المصالح في دائرة اديانها ، فاذا رات فيها العجز والاعراض عن تحقيق ذلك تولت عنها وهى تفتش عن مذهب يعدها بالانقاذ وستتبعه حتما ولو كان آتيا من الشيطان .

ثانيا : محاربة الديمقراطية الغربية لشعوب العالم الاسلامى والمتخلف في افريقيا وآسيا في امانيها التحررية والاستقلالية ومحاربة ابقائها تحت نير الجهل والظلام والعبودية ، واشاعة حكم الارهاب والبطش فيكثيرمنالاقطار المتحفزة للتحرر ، كل ذلك له اثره في اتجاه الجماهير الى نظام يعدها بالتحرر من سلطان الديمقراطيات وبطشها وارهابها .

ثالثا : التأييد الذى لقيته الصهيونية من الديمقراطية الغربية حتى اصبح لها كيان مفروض في قلب الوطن العربى رغم ارادة سكانه وشعوبه مما شرد سكان فلسطين العرب واشاع المرارة والخيبة في نفوس العرب والمسلمين ، وجعل اوساط اللاجئين الفلسطينيين امكنة صالحة للشيوعية تزداد يوما بعد يوم . واذا كان اضطراب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في اوروبا قد جعل نصفها يميل الى الشيوعية او يقع تحت قبضتها ، فكيف لا تؤدى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة في اوساط الشعوب الاسلامية ، الى جانب موقف الدول الغربية الديمقراطية المعادى لامانى الشعوب الاسلامية ، كيف لا يؤدى ذلك كله الى ميل بين الجماهير الاسلامية ـ والعربية جزء منها ـ نحو الشيوعية (٧٤) .

---

(٧٣) يمكن الاستزادة في هذا الموضوع بالرجوع الى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا للدكتور يوسف القرضاوى ص ٣٢٠ ـ ٣٣٢ تحت عنوان كيف وجدت الاشتراكية لها سوقا .

(٧٤) لمزيد من التفصيل عن الاسلام والشيوعية يمكن الرجوع الى كتاب الماركسية والاسلام للدكتور مصطفى محمود .

واذا كان هذا هو موقف الاسلام والمسلمين من الشيوعية ، فما موقف الاسلام والمسلمين من الراسمالية ؟

ينظر الاسلام والمسلمون الى الراسمالية من ثلاث نواحى هى : ـ(٧٥).

ا ـ ان الراسمالية كعقيدة ومبدأ يرتبط بمفاهيم الديمقراطية الغربية والليبرالية في مجالات السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ، وموقف الاسلام من ذلك هو ان للاسلام ديموقراطيته غير المزيفة ودعوته للحرية الموجهة البعيدة عن الفوضي ، ومن ثم يمكن القول ان ديمقراطية الاسلام اكثر اصالة وتحديدا لانها تنسحب على المسلمين وغير المسلمين بينما الديمقراطية والحرية الغربية لا يقرها اصحابها لغيرهم .

ب ـ ان الراسمالية كنظام اقتصادى يقوم على اساس نظرية العرض والطلب والمنافسة الحرة في الانتاج والتجارة ، وتطبيقا لهذه النظرية لا تتدخل حكومات المجتمعات الراسمالية في الاقتصاد القومى للبلاد ، انما تترك امره للافراد ، فالملكية الخاصة لوسائل الانتاج تحصر الاستفادة في عدد قليل من الافراد او الذين تتيح لهم سيطرتهم على وسائل الانتاج استغلال مجموع الشعب والتحكم في الاسواق وفي الاسعار . وموقف الاسلام من ذلك موقف الناقد لكل استغلال للانسان ولكل احتكار في احتياجات الناس ، حيث ان مبادىء الاسلام لا تقر الراسمالية في استغلالها وفي تميزها الطبقى ، انما تؤمن بالمساواة وفي التقارب الطبقى وفي التكافل الاجتماعى وان تكون الثروة في خدمة المجموع .

حـ ـ ان الراسمالية في نظام سياسي كدول ذات قوة واهداف سياسية مارست قوتها وحققت اهدافها الاستعمارية في كل اقطار العالم الاسلامى، وزرعت الصهيونية في قلب العالم الاسلامى وامدتها بأسباب القوة والبقاء وحاربت الاسلام بصور شتى ، ولذلك يقف منها الاسلام والمسلمون موقف المكافح والمناضل ضد الاطماع الإستعمارية واتجاهات الالحاد التى حاولت الدول الاستعمارية بثها ، وهدف الاسلام والمسلمين هو المحافظة على جوهر

---

(٧٥) يمكن الاستزادة من موضوع الراسمالية والاسلام بالرجوع الى كتاب الحلول المستوردة وكيف جنت علينا للدكتور يوسف القرضاوى ص ١٠٣ ـ ١٣١ تحت عنوان لماذا فشلت الليبرالية الديمقراطية عندنا ؟ .

الدين الاسلامى واصوله ، وطرد الاستعمار من ارض المسلمين واقامة غلاقات مع الدول الراسمالية على اســـاس المصلحة الوطنية ومعاملة الند للند ، والوعى بأساليب الحضارة الغربية المادية بحيث يملكها المسلمون ويستفيدون منها دون ان تملكهم هى وتقيد حركتهم (٧٦) .

ولنا سؤال اخير حول احدىالمشكلاتالتى واجهت العالم الاسلامى،وهو موقف الاسلام من الصهيونية ؟ . لا شك ان الدين الاسلامى والمسلمينيفرقون بين اليهودية كدين سماوى والصهيونية كحركة عنصرية سياسية متحالفة مع الاستعمار ضد جزء من الامة العربية التى هى قلب الامة الاسلامية ، ذلك ان الصهيونية التقت مع النازية في مبادئها حيث تدعو الصهيونية الى مبـدأ العنصر الممتاز ومبدأ الديانة الخاصة والوطن الخاص ، بل وتدعو الى تحقيق حلم استعمارى بأن تمـد الصهيونية ســـيطرتها على معظم منطقة الشرق الاوسط من نهر النيل الى نهر الفرات ، كما تدعو الى اســتخدام القـــوة لتحقيق هذه السيطرة ، وبالتالى استغلوا نفوذهم السياسي ليس فقط في اوروبا بل في امريكـا كذلك الى جانب نفوذهم الاقتصادى وســيطرتهم على اجهزة الدعاية من صحافة واذاعة وتليفزيون ونشرات .. (٧٧) .

ومما هو جدير بالذكر ان الحركة الصهيونية كانت اكثر تحركا وتنظيما من العرب ولها رجال ذوى نفوذ في الاقطار الكبرى الاربعة انجلترا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الامريكية وهى الاقطار المنتصرة في الحرب العالمية الاولى (٧٨) ، ولكن اساليبها لم تغب عن اليهود في العالم،اذ وجدت جماعات يهودية عالميةعارضت بشدة خطط الحركة الصهيونية ، وقد ارسل حوالى ٣٠٠ من قادة اليهود الامريكيين الى الرئيس ويلسون يعبرون عن استنكارهم لمطالب الحركة الصهيونية في فلسطين ، كما كانت هناك قيادات يهودية في اوروبا تعتقد ان الصهيونية انما تمثل خطرا على اليهود في العالم ، وتسبب مزيدا من العداء للسامية (٧٩) .

---

(٧٦) للاستزادة يمكن الرجوع الى كتاب الاسلام والراسمالية لمؤلفـه مكسيم رودنسون وترجمة نزيه الحكيم .

(٧٧) د. محمد فاضل الجمالى : الخطر الصهيونى ص ٢٥ ــ ٣٢ . .

(٧٨) د . رافت الشيخ : امريكا والعلاقات الدولية ص ١٦٩ ــ ١٧٠ .

(٧٩) Polk, W. : The U.S. and the Arab World, P. 300.

وعقب الحرب العالمية الثانية نشطت الحركة الصهيونية في تذكير الدول الكبرى بتنفيذ وعد بلفور مستخدمة ما لاقاه الصهيونيون من اضطهاد على يد هتلر في المانيا وكان الراى العام الامريكى يجهل تماما الوضع القائم في فلسطين وما يمكن ان يؤدى اليه تحقيق مطالب الصهيونية من صراع . وبدت امام الراى العام الامريكى دعاوى الصهيونية وكأنها حجج قانونية وعادلة ، بينما كانت اقلية من الشعب الامريكى الذين عاشوا في منطقة الشرق الاوسط يرفعون اصوات الاحتجاج ضد الدعاوى الصهيونية (٨٠) .

ومع ذلك قامت اسرائيل كبداية لحلم الحركة الصهيونية ، واتخذت منذ عام ١٩٤٨م سياسة عدوانية ليس فقط بارتكاب مذابح قامت بها العصابات الصهيونية ضد العرب في فلسطين ، بل وايضا في الاعتداء على الدول العربية الاسلامية المحيطة بفلسطين كالاردن ومصر وسوريا ولبنان منذ عام ١٩٤٨م مرورا بعام ١٩٥٦ م وعام ١٩٦٧ م حتى ١٩٧٣ م ، مستندة الى التصريح الذى اصدرته كل من الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا وفرنسا في ٢٥ مايو عام ١٩٥٠ بضمان حدود دول الشرق الاوسط ، والذى يعناه ضمان حدود اسرائيل وتهديد للعرب اذا حاولوا مهاجمتها (٨١) .

اذا كان هذا هو الخطر الصهيونى على الاسلام والمسلمين ، فكيف لهم مواجهة هذا الخطر ؟ في راىي ان ذلك يأتى بوحدة المسلمين الذين تهفو نفوسهم الى اولى القبلتين في القدس الواقعة تحت سيطرة اسرائيل ، وحدة على الاقل في الهدف وان اختلفت الوسائل ووضع الخطط والامكانيات الكفيلة بتحقيق مثل تلك الوحدة موضع التنفيذ . ودراسة اساليب الصهيونية لكى يتمكن المسلمون من معرفة مخططاتها والاستعداد للرد عليها او منعها من التحقيق ، وذلك من خلال معرفة المسلمين لامكانياتهم ومدى ما يمكن ان يقدموه لتحقيق هدفهم .

كذلك يمكن للمسلمين عن طريق التآخى والتكاتف والعمل المنتج تربية شباب مزود بفلسفة روحية خلقية وعملية شاملة تؤهلهم ليس فقط لمقاومة الخطر الصهيونى بل والخطر الاستعمارى الذى يتخذ حاليا اشكالا ثقافية واقتصادية ، وان يتزود هذا الشباب بالعلم الحديث والاساليب الحديثة

---

(٨٠) The American Assembly : The United States and the Middel East, P. 7.

(٨١) د. رافت الشيخ : المرجع السابق ص ١٧٢ .

في الاقتصاد والاجتماع ، والتخلى عن الاساليب القديمة البالية ، هذا الى جانب الاخذ بمبدأ الدفاع عن النفس انطلاقا من ان خير وسيلة للدفاع عن النفس هى الهجـــوم ، ولتحقيق ذلك يمكن الاخذ بما يلى :

١ ــ ان يدرك العرب والمسلمون ويفهموا بصورة جلية حقيقة الخطـر الصهيونى ، وان هذا الخطر لن يقتصر على فلسطين وحدها بل انه يشمل البلاد العربية الاسلامية كلها .

٢ ــ ان يتعاون العرب في داخل فلسطين وخارجها على شراء اراضى فلسطين وجعلها وقفا بحيث لا يمكن بيعها الى الصهيونيين في المستقبل .

٣ ــ ان يتمسك العرب تمسكا شـــديدا بكل التصريحات التى تضمن لهم حرياتهم وحقوقهم كاملة مما صرح به الرجال المسئولون في الديمقراطيات الكبرى وهيئة الامم المتحدة .

٤ ــ ان تشترك البلاد العربية والاسلامية بالتعاون مع عرب فلسطين في انشاء مراكز كبرى للدعاية والتنوير في اوروبـا وامريكا ، وبيان ان ما شكوى العرب اليوم الا من الصهيونية السياسية الاعتدائية التى جاءت لتحتل قلب البلاد العربية ولتخنق الامة العربية وهى في بدء نهضتها الجديدة (٨٢).

٥ ــ استخدام المؤتمر الاســلامى ومؤتمرات عدم الانحياز والوحـدة الافريقية ومنظمة الشعوب الاسيوية الافريقية في تأييد القضية العربيـــة الاسلامية وقلبها فلسطين ونبضها القدس الشريف .

اذا كانت تلك المشكلات التى تواجه المسلمين وتفت في عضـد الاسلام وتمنع الوحدة الاسلامية من ان تقوم لها قائمة ، فما هو الحل لمواجهة تلك المشكلات ؟ . لقد فشل الحلان الدخيلان على بلادنا المستوردان من عند غيرنا وهما الحل الليبرالى الديمقراطى ، والحل الاشتراكى في كل مجالات الحياة ، لقد فشلا في المجال الاقتصادى وفي مجال الحرية والطمأنينة للشـــعوب المسلمة ، وفي المجال العســـكرى وفى المجال الاخلاقى وفي المجال العربى

---

(٨٢) د. محمد فاضل الجمالى : المرجع السابق ص ٩٦ ــ ١٠٣ .

والاسلامى . . اذن لم يعد امامنا سوى ان نقول مع القائلين ان الحل الاسلامى فريضة وضرورة (٨٣) اذا اريد للامة الاسلامية ان تتخلص من مشكلاتها وتستعيد مكانتها الاولى .

وكيف تهتدى الشعوب الاسلامية مع حكامها الى تطبيق الشريعة الإسلامية في كل نواحى حياتها ؟ لكى يتحقق ذلك لابد من شروط لاقامة المجتمع الاسلامى الكامل . بمعنى ان تكون عقيدته اسلامية ومفاهيمه وافكاره اسلامية ، ومشاعره ونزعاته اسلامية ، واخلاقه وتربيته اسلامية . وان تكون قوانينه وتشريعاته اسلامية (٨٤) . . كيف ؟

١ ــ ضرورة قيام الدولة المسلمة حكومة وشعبا التى تقوم بحماية عقيدة الاسلام من اى عبث ،واقامة الشعائر الاسلامية والاعانة عليها ، ولتوجيه ابناء المجتمع توجيها اسلاميا . ولوضع التشريعات التى جاء بها الاسلام في قوانين قابلة للتطبيق ، ولتنظيم فريضة الجهاد بتدريب المسلمين وشراء الاسلحة وتنظيم الصفوف .

٢ ــ اتخاذ الاسلام مصدرا وحيدا للتشريع ، فمثلا اذا قال الاسلام ان المسلمين امة واحدة وان المؤمنين اخوة . وان الرابطة الاسلامية فوق الرابطة القومية والوطنية . فالحل الاسلامى هو الذى يقيم سياسته العملية على الولاء لامة الاسلام والعداء لاعداء الاسلام . والعمل الجاد المخلص على اعادة الوحدة الاسلامية .

٣ ــ ان يكون تطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا شاملا لا يقبل التجزئة، بمعنى ان يتصدى الحل الاسلامى لكل مشكلات الحياة . وعدم اخذ بعض احكام الله دون بعض .

٤ ــ لا يمكن تطبيق الشريعة الاسلامية الا اذا اخذت باسم الاسلام وتحت عنوان الاسلام لا باسم الاشتراكية او الراسمالية .

٥ ــ ان يكون الاسلام غاية لا وسيلة . وان يكون المنتهى لكل الانظمة والمناهج والوسائل والامكانيات لتطبيقه . ولا يتخذ وسيلة لتثبيت حكم معين او للدعاية لبلد او لاسرة او لحزب او عهد او نظام او مذهب (٨٥) .

---

(٨٣) د. يوسف القرضاوى : الحل الاسلامى فريضة وضرورة ص ٦ ــ ١٥ .
(٨٤) نفس المصدر ص ٣٧ .
(٨٥) نفس المرجع السابق ص ٦٩ ــ ٩٦ بتصرف .

وتحقيقا لهذه الاهداف كان لابد من وجود هيئة تنسق بين الشعوب والحكومات الاسلامية بعضها مع بعض . ومن ثم ظهرت على الساحة الاسلامية دعوة لتجسيد الوحدة الاسلامية في صورة عملية ، وجاء هذا التجسيد فيما اصبح حقيقة واقعة واعنى « منظمة المؤتمر الاسلامى » الذى صارت له امانة عامة وعدة هيئات او منظمات تتبعها .

شهد النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين للميلاد) قيام اكبر منظمة للعالم الاسلامى ، وانعقد اول مؤتمر قمة اسلامى لها في الرباط عاصمة المملكة المغربية في رجب سنة ١٣٩٨ هـ (سبتمبر ١٩٦٩ م) وفي غضون العشر سنوات التالية عقدت العديد من مؤتمرات القمة ومؤتمرات وزراء الخارجية الاسلامية للنظر في القضايا الاسلامية الملحة التى تجابه الشعوب الاسلامية واستطاعت على هذا المدى القصير ان تكون واحدا من ابرز المنظمات العالمية بحكم مئات الملايين من القوى البشرية التى تمثلها وانتمائها لاخر واعظم الديانات السماوية بالاضافة الى اهمية الموضوعات التى تتناولها والتى تشكل جزءا هاما من قضايا الانسانية المعاصرة .

ولقد كان ظهور المنظمة على مسرح التاريخ المعاصر نتيجة لعوامل متعددة نبرز اهمها فيما يلى .

« أولا » مشكلات الاقليات الاسلامية .

نتيجة لحركة المد الاطرادى العكسى بين زيادة انتشار الدين الاسلامى، وانحسار النفوذ السياسي لبعض الدول الاسلامية ، بسبب السياسة الاستعمارية ، ظهرت اقليات اسلامية ، في اطار دول غير اسلامية . وارتبط ذلك بتعرض هذه الاقليات ، لاضطهادات دينية وسياسية واقتصادية ، اتخذ بعضها دورا حادا ، اقرب الى محاولات الابادة منه الى شيء اخر كما هو الحال بالنسبة لمسلمى الفلبين ، ووسط آسيا وجنوب افريقية ، واتخذ بعضها محاولات الادماج والامتصاص كما هو الحال بين مسلمى قبرص وارتريا، بالاضافة الى تعرض بعض المسلمين في مناطق كثيرة من انحاء العالم لاضطهادات دينية وسياسية واقتصادية . وقد شجع هذه الحركة المضادة للاسلام ما لقيته من نجاح في مراحل سابقة في ميادين اخرى نخص بالذكر منها انهاء الوجود الاسلامى في كل من اسبانيا وصقلية وكريت وغيرها .

وعلى الرغم من وجود المنظمات الدولية المعروفة الا انها لم تكن صالحة لمجابهة هذه القضايا التى طالما نظر اليها على انها قضايا داخلية لا تجيز مواثيق هذه المنظمات التدخل فيها وحتى الجامعة العربية كان ميثاقها يقف عاجزا عن التصدى بايجابية لهذه المشكلات تمشيا مع نصوص مثياقها بالاضافة الى تشابك الظروف الدولية السياسية والاقتصادية في عالمنا المعاصر وهو ما سوف نفرد له بندا خاصا في هذه العوامل .

ومن أجل ذلك كان لابد من وجـــود منظمة اسلامية تختص بالنظر في هذه المشكلات والقضايا بعيدا عن الحساسيات المختلفة .

« ثانيا » مشـــكلات التخلف الحضارى :

ليس من شك في أن المد الاستعمارى بوجه خاص والسياســـة الامبريالية بوجه عام قد ساعد على تثبيت التخلف الحضارى في كثير من البلاد الاسلامية التى تعرضت للاحتـــلال الاجنبى بسبب السياســـة الاقتصادية التى كانت تجعل من هذه البلاد مناطق استهلاك لمصنوعات ومنتجات الدول الصناعية الكبرى ولذلك فقد كانت عملية الاحتـــلال الاجنبى تعمل على اعاقة اى نمو حضارى يمكن أن يحرم الدول الكبرى من استنزاف ثروات البلاد المغلوبة على أمرها وحتى بعد أن حصلت كثير من البلاد الاسلامية على استقلالها فان فروق مسافات التخلف بين اولئك الذين سبقوا على الطريق وأولئك الذين يلهثون من أجل التقـــدم ظلت طويلة وشاقة ليس فقط بسبب المعوقات التى تضعها الدول المستغلة في طريق النمو والتقدم وانما أيضا بسبب الحاجة الى موارد التمويـــل والاساليب التنظيمية والتقنية الحديثة بالاضافة الى الخبرات والامكانيات المطلوبة فيهذا السبيل وكان أخطر ما فسرت به هذه الظاهـــرة ادعـــاء التناقض بين معطيات الاسلام والنهضة العلمية المعاصرة ومن اجل ذلك كان لابد من تنظيم اســـلامى يجابه كل هذه المشكلات ويســـاعد على تجاوزها خاصة بعد أن توافرت الامكانيات المادية لدى الدول البترولية الاسلامية والامكانيات والخبرات التقنية لدى بعض الدول الاســـلامية التى سبقت على الطريق .

« ثالثا » تجاوز الحساسيات الشكلية في جامعة الدول العربية :

الجامعة العربية ضرورة قومية يجب أن يسعى الجميع لتدعيمها وتقويتها حيث أنها في النهاية المعتصم الاخير الذى تلجـــأ اليه الدول

العربية كلما ادلهم بها الامر او استعصى عليها الاتفاق على حل ومهما قيل عن امكانياتها المحدودة وسلبياتها التى تنعكس عليها من واقع العالم العربى فهى الامل المرتجى الذى يحاول فيه زعماء الامة العربية ان يتناسوا خلافاتهم ويضمدوا جراحاتهم .

ولكن الجامعة العربية بمواثيقها التقليدية المرتبطة بمواثيق المنظمات الدائرة في فلك المنظمات الدولية تحول بينها وبين مناقشة مشاكل الاقليات الاسلامية في الدول المختلفة لان ذلك يتعارض مع حقوق الدول في سيادتها الداخلية بالاضافة الى تشابك المصالح العربية وغير العربية في كثير من الموضوعات والمشكلات والقضايا السياسية الهامة التى تحتاج فيها الجامعة العربية دعما دوليا على مستوى المنظمات السياسية الكبرى .

ومن أجل ذلك فكثيرا ما كانت تتجاوز جامعة الدول العربية النظر في كثير من القضايا الاسلامية الهامة وفي مقدمتها مشاكل المسلمين في الفلبين وقبرص وارتريا وجيبوتى وغيرها مما كان يؤدى في كثير من الاحيان الى تجميد هذه المشكلات فضلا عما كان يصيب هذه الاقليات الاسلامية من أسي عميق يتولد عن الشعور باغفال الجامعة العربية لاوضاعها المريرة .

ومن هنا كان لابد من ايجاد منظمة اسلامية تتخطى هذه الحواجز والحساسيات وتقدم المساعدات والامكانات المادية والعسكرية والحضارية للاقليات الاسلامية المغلوبة على أمرها .

« رابعا » حريق المسجد الاقصي في ٢١ اغسطس سنة ١٩٦٩ م :

كان السبب المباشر الذى حول الحلم الى حقيقة ما أقدمت عليه اسرائيل في ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩ م جريا على سياستها العدوانية من عملية تخريب كبرى لبعض الاماكن الاسلامية المقدسة في فلسطين المحتلة وانتهاك حرماتها وبلغت ذروة ذلك الانتهاك بالحريق الذى أشعلته في المسجد الاقصي ونتجت عنه أضرار فادحة سببت الذعر عند اكثر من ثمانمائة مليون من المسلمين مما دعا الى ضرورة تصدى الدول والشعوب الاسلامية لهذا الحدث الخطير واذابة كل الحساسيات التى كانت تثار حول انشاء المنظمة الاسلامية ولذلك لا نعجب اذا رأينا أن أول مؤتمر

قمة لمنظمة المؤتمر الاسلامى انعقد بعد اقل من شهر لهذا الحادث الخطير بمدينة الرباط في رجب ١٣٨٩ هـ (سبتمبر سنة ١٩٦٩م) وحضره ملوك ورؤساء سبع وعشرين دولة عربية واسلامية وممثلون عن منظمة التحرير الفلسطينية كمراقبين ولم تحضر كل من سوريا والعراق وقد ندد المؤتمر بهذا الحدث الخطير وطالب المؤتمرون كلا من فرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الاخذ بعين الاعتبار وضع الحرم القدسي بالنسبة للمسلمين في مختلف أرجاء الارض وعزم الحكومات الاسلامية على تحرير القدس ورفضهم لموقف اسرائيل من ضم القدس الشرقية الى عاصمة الدولة الصهيونية بالاضافة الى ضرورة الانسحاب من الاراضي العربية التى احتلت بعد عام ١٩٦٧ ومساندتهم الكاملة للشعب الفلسطينى في كفاحه من أجل استرداد اراضيه مع ترك التفصيلات لمؤتمر يعقد على مستوى وزراء خارجية الدول العربية الاسلامية في جدة في محرم ١٣٩٠هـ (فبراير / مارس ١٩٧٠ م) واهم ما يلاحظ على هذا المؤتمر الاول ما يلى .

« أولا » ان هذا الاجتماع كان أقرب الى مؤتمر مجابهة لمسألة حريق المسجد الاقصي اكثر منه مؤتمرا للمنظمة الاسلامية ويتضح لنا ذلك من قراراته التى اقتصرت على شجب موقف اسرائيل من هذا الحادث العدوانى الخطير اضافة الى القرارات التقليدية المعتادة لجامعة الدول العربية وفي مقدمتها المطالبة بجلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى التى احتلت بعد عام ١٩٦٧ .

« ثانيا » تردد بعض الدول التى تنهج نهجا اشتراكيا في سياستها في حضور هذا المؤتمر وفي مقدمتها العراق وسوريا اللتان امتنعتا عن حضور المؤتمر بالاضافة الى مصر التى حضرت كعضو مراقب ولو انها كانت قد خرجت جريحة من عدوان سنة ١٩٦٧ فلربما كانت حذت حذو الدولتين الاخريين وقد كان ذلك راجعا الى التصور الذى وقر في اذهان هذه الدول من وجود تناقض بين فكرة المؤتمر الاسلامى والجامعة العربية .

« ثالثا » قلة عدد الدول الاسلامية والعربية التى شاركت في هذا المؤتمر اذا قورنت بعضوية منظمة المؤتمر الاسلامى الان التى تضم واحدا واربعين دولة اسلامية وعربية هى المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية والجمهورية الغينية والجمهورية الاندونيسية وايران

والمملكة الاردنية الهاشمية وجمهورية لبنان والمملكة المغربية والجمهورية الليبية والجمهورية التونسية وجمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية وجمهورية بنجلاديش الشعبية وجمهورية افغانستان والجمهورية العراقية وجمهورية النيجر والجمهورية التركية وجمهورية اوغندة واتحاد ماليزيا وجمهورية زامبيا وغينيا بيساو وجمهورية الكاميرون ودولة الامارات المتحدة وجمهورية تشاد وجمهورية مالى ودولة قطر وسلطنة عمان ودولة الكويت والجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وجمهورية موريتانيا الاسلامية ودولة البحرين وجمهورية جابون وجمهورية سيراليون وجمهورية باكستان الاسلامية وجمهورية السنغال وجزر القمر ومالديف وجمهورية السودان والجمهورية العربية السورية وفلسطين .

« رابعا » عدم تمثيل الجامعة العربية في هذا الاجتماع لما سبق أن ذكرت من انه كان هناك تصور خاطىء بوجود تناقض بين المنظمتين الاسلامية والعربية . وكان اشتراك امين الجامعة العربية في جلسات منظمة المؤتمر الاسلامى اعتبارا من المؤتمر الثالث الذى عقد في كراتشي شوال سنة ١٣٩٠ هـ (ديسمبر ١٩٧٠ م) ولم تحضره العراق وسوريا ايضا وبدأ اشتراك سوريا في المؤتمر الرابع الذى عقد في جدة في محرم سنة ١٣٩٢ هـ مارس سنة ١٩٧٢م وهو من أخطر مؤتمرات المؤتمر الاسلامى ثم بدأ حضور العراق بعد ذلك .

ولقد بدأ المؤتمر في جلسته الثانية التى عقدت في جدة في محرم سنة ١٣٩٠ هـ (فبراير ـ مارس ١٩٧٠م) بحضور وزراء خارجية الدول الاسلامية والعربية يضع الاسس التنظيمية لتشكيله فقرر انشاء أمانة دائمة للمؤتمر الاسلامى يكون مقرها جدة الى أن تتحرر القدس فينتقل اليها على أن تكون هذه الامانة حلقة اتصال بين الدول الاسلامية مهمتها متابعة تنفيذ القرارات والاعداد للدورات القادمة واتخذ المؤتمر قرارا باعتبار يوم ٢١ اغسطس من كل عام (يوم حريق المسجد الاقصي) يوم التضامن مع الشعب العربى الفلسطينى .

ويعتبر المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد في جدة (في محرم سنة ١٣٩٢ هـ فبراير / مارس سنة ١٩٧٢ م) من اخطر اجتماعات المؤتمر حيث صودق فيه على ميثاق المؤتمر الاسلامى بشأن تعزيز التضامن ودعم التعاون في المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية والمجالات الاخرى بين الدول الاسلامية كما تقرر انشاء المؤسسات التالية .

١ ـ انشاء وكالة انباء اسلامية دولية في جدة تكون مركزا لاهم الانباء والاحداث الاسلامية ويتم تداولها ونشرها على الدول الاعضاء .

٢ ـ انشاء منظمات ومراكز ثقافية اسلامية مهمتها نشر وحماية العقيدة والثقافة الاسلامية على ان تكون من اختصاصات دائرة الشئون الثقافية بالامانة العامة ويشرف عليها مساعد الامين العام وتختص بالجوانب التالية :

(أ) رعاية الجماعات الاسلامية ماديا وثقافيا في جميع بلدان العالم الاسلامى .

(ب) جمع المعلومات ذات الطابع الثقافى ودراستها وتداولها .

(جـ) نشر الكتب المتعلقة بالدين الاسلامى والثقافة الاسلامية بالاضافة الى قضايا العالم الاسلامى الكبرى وفي مقدمتها القضية الفلسطينية وقضايا الاقليات الاسلامية في العالم .

(د) تنظيم دورات تدريبية للمسئولين عن المراكز الثقافية الاسلامية .

(هـ) تنشيط الالعاب الرياضية واقامة المباريات بين الدول الاسلامية .

(و) انشاء مركز للبحوث الاسلامية .

(ز) جمع الاحصاءات واعداد الدراسات عن احوال الجماعات الاسلامية في البلاد غير الاسلامية .

(ح) انشاء مجلة اسلامية دورية تنطق باسم المؤتمر الاسلامى .

(ط) انشاء جامعة اسلامية تفتح ابوابها لكل ابناء الشعوب الاسلامية .

٣ ـ الموافقة على اقتراح مصر بانشاء البنك الاسلامى الدولى مهمته الدراسة العلمية واعطاء المشورة في الموضوعات الاقتصادية على ان تكون له ادارة مالية واقتصادية لخدمة العالم الاسلامى .

وقد تعرضت المؤتمرات الاسلامية الاثنا عشر التى عقدت حتى الان لكافة القضايا الاسلامية الهامة وفي مقدمتها عدوان البرتغال على غينيا وقضية المسلمين في الفلبين وتضامن الدول الاسلامية مع الشعوب الافريقية المكافحة ضد الاستعمار والتمييز العنصرى وقضايا المسلمين في قبرص وارتريا وجيبوتى وغيرها من القضايا الاسلامية الملحة ووقفت الى جانبها تساندها ماديا وسياسيا واعلاميا وفكريا .

وقد اجتمع وزراء الخارجية للدول الاسلامية في دورته رقم ١٢ بمدينة « اسلام آباد » الباكستانية خلال شهر رجب ١٤٠٠ هـ الموافق شهر مايو ١٩٨٠ وذلك لمناقشة اهم قضيتين على الساحة الاسلامية وهما :

١ ـ الغزو السوفيتى لافغانستان .
٢ ـ قضية فلسطين .

وقد اتخذ المؤتمر في ٨ رجب ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٢ مايو ١٩٨٠ م عدة قرارات أهمها : ـ

١ ـ أعرب المؤتمر عن قلقه العميق لما يعانيه الشعب الافغانى وللتدفق المستمر للاجئين الافغانيين الى باكستان وايران .

٢ ـ قرر المؤتمر تشكيل لجنة لزيارة موسكو للتفاوض بشأن مشكلة افغانستان .

٣ ـ توجيه نداء الى جميع دول العالم لتقديم المساعدة لتخفيف آلام اللاجئين الافغانيين .

٤ ـ كرر المؤتمر مطالبه بالانسحاب الفورى والكامل وغير المشروط لجميع القوات السوفييتية المرابطة في الاراضي الافغانية ، وأهاب بجميع الدول لاحترام سيادة افغانستان ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي وانتمائها للاسلام .

٥ ـ أكد المؤتمر التزام جميع الدول الاسلامية بتنفيذ جميع القرارات الاسلامية السابقة والمتعلقة بمدينة القدس .

٦ ـ اعتبر المؤتمر قرار العدو الاسرائيلى الاخير بضم مدينة القدس الشريفة وجعلها عاصمة لكيانه الصهيونى العنصرى قرارا باطلا ولاغيا وغير مشروع وتحديا لمشاعر المسلمين جميعا ، ودعا المؤتمر جميع المسلمين لمقاومته (٨٦) .

---

(٨٦) جريدة الراية القطرية ـ الدوحة العدد ١٤٠ السنة الثانية السبت ١٠ رجب ١٤٠٠ هـ / ٢٤ مايو ١٩٨٠ م .